

محاضرات

ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

باعتبار علاقتها بأوروبا وخصوصاً بإيطاليا

وهي

الأربعون محاضرة التي خطب العلامة المحقق السنيور ﴿جويدي﴾

طالبة الجامعة المصرية إياها

~~~~~

نشرت تباعاً

في

﴿مجلة الجامعة المصرية﴾

~~~~~

حقوق الطبع محفوظة لأصحاب « مجلة الجامعة المصرية »

﴿ يطلب من مكتب المجلة بشارع محمد علي ومن المكاتب الشهيرة ﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب الذي تقدمه الآن بين يدي الادباء ورجال العلم والفضل قد دعى الاربعين محاضرة التي ألقاها العلامة المحقق السنيور جويدي على طلبة الجامعة المصرية في موضوع أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب وقد بدأ بها يوم الثلاثاء ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٨ وفرغ منها يوم الاحد ٢١ مارس سنة ١٩٠٩ فكانت مدتها ٨٧ يوما . وكان يخطب في أول الامر ثلاث خطب في الاسبوع ثم زادها الى أربعة . وقد نشرت هذه المحاضرات تباعا في مجلة الجامعة المصرية التي أصبحت سجل علم وحكمة بما يملئها أساتذة الجامعة الاعلام . واذ نالت هذه الخطب رضا قراء المجلة وكانت فيما نرى من أنفس ما يدرج جمعناها على حدة في هذا الكتاب ونشرناها متوخين بذلك تعميم الفائدة وتخليد ذكرى هذا الاستاذ الجليل ولا بد لنا هنا من التنويه بذكر الاستاذ الخطيب والدلالة على فضله وسمو منزلته التي عرفها له الغرب والشرق بذكر شيء من تاريخ حياته تقلا عن دائرة المعارف الفرنسية الكبرى وما علمناه منه بالمحادثة وعرفناه فيه بالمعاشرة وهاك مختصر حياته



ولد الاستاذ في ٣١ يوليو سنة ١٨٤٤ ميلادية فيكون بلغ الآن الخامسة والستين من عمره وكانت ولادته في مدينة رومية منشأه ومرباه . وتعلم من اللغات القديمة السريانية والحبشية والعبرانية والقبطية ومن اللغات الحية لغته الايطالية واللغة الفرنسية والعربية التي يجيد الكتابة فيها . وقد عهد اليه تدريس اللغة العبرانية واللغات السامية والمقارنة بينها سنة ١٨٧٦ في جامعة رومية . ثم عين استاذاً فوق العادة فيها

في سنة ١٨٧٨ ثم استأذا في سنة ١٨٨٥ وكلف بتدريس التاريخ واللغة الحبشية وهو الآن يدرس اللغات الحبشية والسريانية والعبرانية في جامعة رومية

وقد نشر الأستاذ كتباً عدة في جميع اللغات السامية وفي القبطية وأما كتبه في العربية فهي حواش على شرح بانت سعاد لابن هشام. وزيادات في كتاب كيلة ودمنة خلت منها كل الطبقات الموجودة الآن ووجدت في الأصل. وتجريد خلافة عبد الملك والوايد وسليمان من تاريخ الطبري. وحواش على كتاب الاستدراك للزبيدي وعلى كتاب الأفعال لابن الفويصة. وإنشاء فهرست لكتاب الأغاني. وفهرست لخزانة الأدب الكبرى للبغدادي. ووقف على طبع جميع هذه الكتب في إيطاليا ولم تكرر هذه المؤلفات آثار الأستاذ جميعها فإن له مقالات عديدة في أمهات الصحف والمجلات العلمية وأخصها مجلة نوافل انتولوجيا والمجلة الشرقية ومجلة الجمعية الآسيوية الإيطالية ومجلة زيتشرفت دردوتشن مرحبلندس جزاشاف ومجلة أعمال مؤتمرات المشرقين وغيرها

ومن يعاشر الأستاذ كما عاشرناه مدة إقامته الوجيزة بين أظهرنا يرى منه حكماً محققاً بصيراً ذا علم جم وإطلاع واسع وآداب سامية وأخلاق كريمة حتى امتلك بذلك قلوب عارفيه الذين أحلوه المحل الأرفع من نفوسهم حياه الله وأمتعنا بعلمه وفضله



فہرست

(أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب)

عناوين هذه الفهرست مستنبطة من خلال الموضوعات وليس لها اشارة في متصف الا سطر كما جرت العادة ولكن يجهها القارئ في الصفحة التي اشرنا اليها اما في أول سطر أو في خلاله

45843534

صفحة		المحاضرة الاولى	صفحة
٨	رغبة العرب في علوم الرومان	١	تحية القامئين بالجامعة وطلابها
٩	عناية خلفاء بني العباس بالعلوم	٢	موضوع المحاضرات
	المحاضرة الرابعة	٢	مؤلفات العرب في الجغرافيا
٩	دار الحكمة في بغداد	٢	أمة اليونان والجغرافيا
١٠	مسابقة العرب والروم في نشر العلم	٣	أمة الرومان والجغرافيا
١٠	كتاب الجسطي وتفسير هذا الاسم	٣	عرب الجاهلية والجغرافيا
١١	استخراج كتب بطليموس الى العربية	٤	ابتداء علم الجغرافيا عند العرب
١١	تحقيق المأمون دورة الارض	٤	بعض اغلاط النساخ في معجم البلدان
	المحاضرة الخامسة		المحاضرة الثانية
١٣	بعض علماء العرب في الجغرافيا واسماء كتبهم في القرن الثاني والثالث	٥	بعض علماء الجغرافيا المعدودين
	المحاضرة السادسة	٥	مبادئ الاشتغال بالجغرافيا
١٥	ثمة علماء الجغرافيا عند العرب في القرن الثاني والثالث	٦	رسم الرومانيين صورة الارض
١٦	معنى لفظة جغرافيا واشتقاقها	٦	ممهّدات السبيل لدرس الجغرافيا
١٦	تصوير الارض عند المصريين		المحاضرة الثالثة
١٦	صور الارض عند اليونان	٧	مؤلفات بطليموس ومن فسرهما

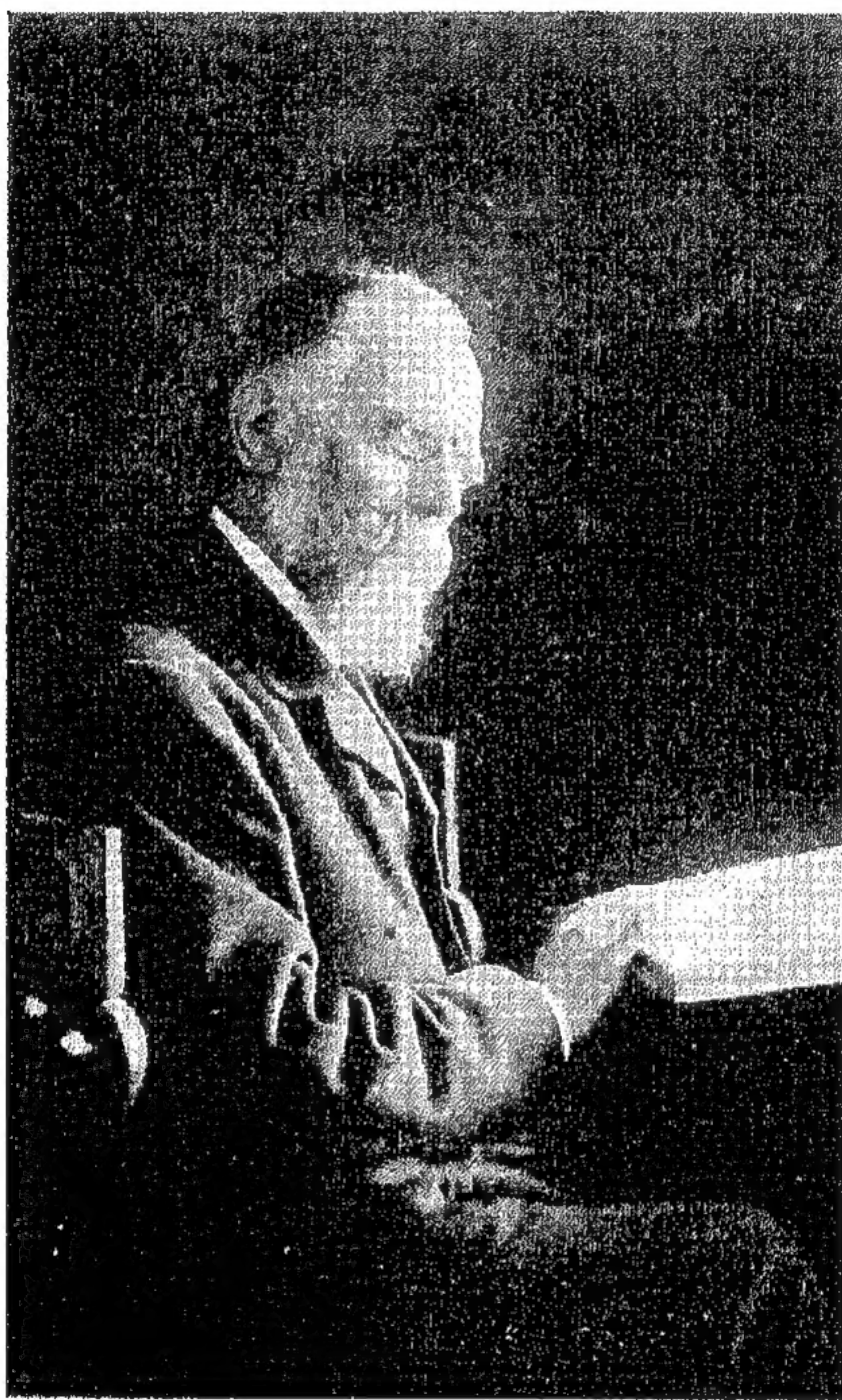
صفحة	صفحة
المحاضرة الرابعة عشرة	المحاضرة السابعة
آثار العرب في صقليا وسائر ايطاليا ٣٥	١٧ صور الارض عند العرب وكتب
بعض أشعار الشواهد ٣٦	حكائهم والصورة المأمونية
الابتداء في أديات علم التاريخ ٣٦	١٨ مقدار علم العرب ببلدان الافرنج
لمحة في أخبار اليونان ومدنيتهم ٣٧	المحاضرة الثامنة
الامم الهند جرمانية ٣٧	١٩ ما ذكره المسعودي من جنوب ايطاليا
المحاضرة الخامسة عشرة	١٩ سبب جهل العرب مدن أوروبا
نعمة الكلام على الامم الهند جرمانية ٣٨	٢٠ بعض علماء العرب في علم الجغرافيا
لمحة في أخبار اليونان وسبب تلقب ٣٩	من القرن الرابع الى العاشر
الاسكندر بذي القرنين	المحاضرة التاسعة
المحاضرة السادسة عشرة	٢١ بعض علماء الجغرافيا وبعض كتبهم
محاربة الاسكندر بلاد فارس ٤٠	٢٢ ذكر أصحاب الرحل من العلماء
موت دارا الاصغر ٤٠	المحاضرة العاشرة
موت الاسكندر والحروب بين ٤١	٢٣ نعمة علماء الجغرافيا الى القرن العاشر
قواده بعده	٢٤ مؤلفات المتأخرين والمتقدمين
تأليف حكماء العرب في فن التاريخ ٤١	المحاضرة الحادية عشرة
المحاضرة السابعة عشرة	٢٥ تقسيم علماء الجغرافيا الى طبقتين
نعمة الكلام على أصحاب المغازي ٤٣	٢٥ الادريسي والملك رجار الثاني
أخبار اليونان في كتب المغازي ٤٤	٢٥ علماء الطبقة الثانية
المحاضرة الثامنة عشرة	المحاضرتان الثانية والثالثة عشرة
ذكر من اشتهر في علم التاريخ في ٤٥	٢٧ كلام ياقوت على مدينة رومية
القرن الثامن والناسع	

صفحة	صفحة
٥٣	٤٦ ذكر ما يوجد في تواريخ العرب من أخبار اليونان
٥٤	٤٧ رواية المتأخرين في الاسكندر
٥٤	٤٨ حيل الاسكندرو ذك الحكيم والمواعظ
٥٤	المحاضرة التاسعة عشرة
٥٤	٤٨ ما ذكره ابن خلدون تاريخ اليونان
٥٤	٤٩ تصحيقات كتاب ابن خلدون
٥٥	٤٩ أخبار حكماء اليونان في كتب العرب
٥٥	٤٩ أساطين الحكمة من اليونان
٥٦	٥٠ فرقة المشائين من طلاب الحكمة
٥٦	المحاضرة العشرة
٥٧	٥١ ورثة مملكة الاسكندر
٥٧	٥١ أخبار الرومان
٥٨	٥١ اليونان والفينيقيون الذين في جنوب ايطاليا
٥٨	٥٢ بناء مدينة رومية
٥٨	٥٢ روملس وأخوه ريمس والاشراف والعوام
٥٩	المحاضرة الحادية والعشرون
٥٩	٥٢ قول المسعودي في روملس
٥٩	٥٣ الملوك الستة بعد روملس
٦٠	٥٣ طرد الملوك وابتداء الجمهورية
٦٠	٥٣ تقسيم الملوك الشائع عند العرب
٥٣	٥٣ تنازع العوام والاشراف وهجرة العوام من المدينة
٥٤	٥٤ مثل المعدة والاعضاء
٥٤	٥٤ محاربة الرومان اللطين والاطرسك
٥٤	٥٤ استيلاء الرومان على كبرانيا
٥٤	٥٤ الحروب مع السميت
٥٥	٥٥ محاربة الرومانين مدينة نارتو
٥٥	٥٥ ذكر البونيين وهم فرع من الفينيقيين
٥٦	٥٦ الحروب البونية الاولى والثانية
٥٦	٥٦ المحاضرة الثالثة والعشرون
٥٧	٥٧ التجاء انبيل الى انطيوخس ملك الشام وذكر موته ومناقبه
٥٨	٥٨ الحرب مع فيلبس الخامس ملك مقدونيا ومع انطيوخس
٥٨	٥٨ الحرب البونية الثالثة وخراب قرطاجنة
٥٨	٥٨ انقسام دولة الرومان والفتن
٥٩	٥٩ انقراض الجمهورية وابتداء الملوك
٥٩	٥٩ ذكر ما جاء في تأليف العرب من أخبار الجمهورية الرومانية
٦٠	٦٠ تقسيم الملوك الشائع عند العرب

صفحة	صفحة
المحاضرة الخامسة والعشرون	المحاضرة الخامسة والعشرون
٦١	سبب إهمال علماء العرب أخبار
٦٢	حروب الرومان
٦٣	ابتداء مملكة الرومان ثم انحطاطهم
٦٣	انقسام مملكة الرومان الى قسمين
٦٣	استيلاء البربر على رومية
٦٣	قصة أصحاب الكهف
المحاضرة السادسة والعشرون	المحاضرة السادسة والعشرون
٦٤	تدعيم قصة أصحاب الكهف
٦٥	قصة أيملك تلميذ أرميا النبي
٦٦	الابتداء في أدبيات اللغة
٦٦	ذكر اللغات الحامية
المحاضرة السابعة والعشرون	المحاضرة السابعة والعشرون
٦٧	ثمة القول في اللغات الحامية
٦٧	اللغات السامية
المحاضرة الثامنة والعشرون	المحاضرة الثامنة والعشرون
٦٩	الكتابة الآثورية وكيفيتها
٧٠	اللغات السامية الغربية
٧١	حروف الهجاء الأصلية
المحاضرة التاسعة والعشرون	المحاضرة التاسعة والعشرون
٧٢	التغيير اللاحق لبعض حروف الهجاء
٧٤	ذكر لغة العبرانيين ولمحة في أخبارهم
٧٤	المحاضرة الثلاثون
٧٥	سياق الكلام في أخبار اليهود
٧٥	لغة اليهود
٧٥	ذكر بعض شعراء اليهود
المحاضرة الحادية والثلاثون	المحاضرة الحادية والثلاثون
٧٧	سياق الكلام على اللغة العبرانية
٧٧	كتب اليهود وتقسيمها
المحاضرة الثانية والثلاثون	المحاضرة الثانية والثلاثون
٨٠	ثمة الكلام في كتب اليهود المقدسة
٨٠	لغة تآليف اليهود في الأجيال الوسطى
٨٠	لغة بني موآب
٨١	لغة الفينيقيين وكتابتهم
٨١	اللغات الآرامية
٨٢	نقل كتب اليونان الى السرياني
٨٢	منه الى العربي
المحاضرة الثالثة والثلاثون	المحاضرة الثالثة والثلاثون
٨٣	سياق الكلام في اللغة السريانية
٨٤	الحركات عند العرب
٨٥	تعريف الكلام عند اليونان والعرب
المحاضرة الرابعة والثلاثون	المحاضرة الرابعة والثلاثون
٨٦	اللغة الآرامية الغربية
٨٧	لغة تدمر وأخبار هذه المدينة

صفحة	صفحة
المحاضرة الثامنة والثلاثون	المحاضرة الخامسة والثلاثون
٩٩ ثمة الكتابات الحيرية	٧٧ اللغة النبطية
١٠١ زوال اللغة الحيرية	٨٨ اللغة الارمية في مصر
١٠١ تأليف الهمداني	٨٩ اللغة العربية المعهودة وكيفيتها
١٠١ قصيدة نشوان الحيري	٩٠ اللغة العربية القديمة وكتابتها
١٠٢ لمحة في لغة الحبشان القديمة	المحاضرة السادسة والثلاثون
المحاضرة التاسعة والثلاثون	٩١ اللغة العربية الجنوبية
١٠٣ بعض قواعد اللغة الحبشية	٩١ حال اليمن وتجاريتها
١٠٣ الكتابات الحبشية القديمة	٩٢ صور الاحرف الحيرية والحبشية
١٠٤ اللغات الحديثة المتولدة من الحبشية	٩٣ بعض قواعد اللغة الحيرية
١٠٥ الالفاظ العربية وكيفيتها	المحاضرة السابعة والثلاثون
المحاضرة الاربعون	٩٤ بعض الكتابات الحيرية
١٠٦ سياق الكلام في دخیل العربية	٩٥ كتابة أخرى
١٠٨ النصرانية في الحيرة وغان	٩٦ كتابة أخرى
١٠٨ الالفاظ الدينية العربية المنقولة من الارمی	





العلامة السنيور جويدي استاذ الادبيات في الجامعة المصرية

(جزئيات المحاضرة)

تحية القائمين بالجامعة وطلابها - الاعتذار عن اجادة النطق بالعربية - موضوع المحاضرات - أسباب سهولة الاشتغال بالجغرافيا لبعض الامم القديمة من اليونان والرومان والعرب



أيها السادة . اتى ما بلغت أن أكون أستاذاً في الجامعة المصرية المباركة فها هو إلا حسن ظن بي ممن دعاني الى تلك المنزلة السامية فأنا لا يسعني الا أن أشكره حسن ظنه وأبى دعوته التي شرفت بها . وذلكم لداعي هو دولة الامير الجليل أحمد فؤاد باشا والسادة الأكابر أعضاء مجلس ادارتها لاسيا صديق الفاضل أحمد زكي بك . ثم أشكر لكم أيها السادة هذا اللقاء الحسن وتلك المجاملة الوضيعة وان كان شكر عاجز مثلي لا يفي ما يستحق دولة ذلكم الامير الفخم ولا من ذكرت من الاعضاء والاصدقاء والحاضرين الا كالم . غير انني مدفوع الى هذا الشكران رغم أنني بتلك العوامل التي تختلج قوادي



ثم اتى كما ترون مخاطبكم بلغتكم الشريفة العربية وأنا كما تعلمون تلياني ولدت في رومية ونشأت بها وكل اجنبي عن لغة لا بد له من التلمذ في استعمال تلك اللغة فاعذروني اذا تلعم لساني في المحادثة بتلك اللغة الشريفة التي تطفات على موائدها كطفيلي الاعراس وان كان يئني وبينه اثتلاف واختلاف فهو يحضر الولايم من غير دعوة وأنا انتجت نبعة اللغة العربية بدعوة منها وغنائها وما حوت من كنوزها وقنائسها



ان الذي أريد أن أتوخاه في محاضراتنا التي . نفتتحها اليوم بهذه المحاضرة هو المناسبات بين ما صنف باللغة العربية وما صنف باللغات الاوروبية لاسيا لغة بلادنا

الايثاليه ومعرفة صواب نصوص تلك الكتب العربية وخطئها بالانتقاد الصحيح وذلك في ثلاثة فنون - الجغرافيا - التاريخ والاخبار - اللغة العربية وما وجد فيها من اللغات السامية واللاتينية والايثالية

وانبدأ بمؤلفات علم الجغرافيا فنقول . مما لا ريب فيه ان مؤلفات العرب في الجغرافيا ابان القرون الوسطى من أجل ما ألف في هذا العلم وذلك لاستيفاء شروط ثلاثة - اتساع الملك - التجارة وسعة العيش - الفطنة والذكاء - فلقد استوفت الامة العربية في القرون الوسطى تلك الشروط



ولنبحث عن أول من اشتغل بهذا العلم وتوفرت له أسبابه من الامم القديمة فنقول أمة اليونان لم يوجد بلا شك أمة قديمة أسد عقولا وأقوى فطنة من تلك الامة اليونانية التي نبغت في الشعر وبرزت فيه التبريز كله ومن فحول شعرائها الذين سارت بذكرهم الركبان ولم يجهلهم انسان هو ميروس صاحب الالياذة التي نقلت الى العربية حديثا وهي من أحسن ما كتب من نوعها وصاحب ادسيه ومنهم اسكيدس وسفكلس واستفلس وهم الذين اخترعوا الروايات التي تسمى بالفرنسية كوميدي ومصنفو أهل أوروبا وايتاليا في هذا الفن عيال على هؤلاء الشعراء الا كابر فأخذوا عنهم وخذوا حذوهم

ولقد غابت الامة اليونانية كذلك بالهندسة والبناء والنحت والتصوير ومن فحول علمائها في هذه الفنون الذين لا يجهلهم أحد فيديس وبركيتلس وغيرها ولقد بذت الامة اليونانية كل الامم في اشتغالها بالفلسفة وكانت لها فيها القدح المعلى بل هي أول الامم المشتغلة بذلك العلم الجليل ومن عظماء فلاسفتها أفلاطون وارسطاطليس وهما أشهر من ألف في هذا العلم في العالم كله فدل ذلك على قوة اذهان اليونان ونور بصائرهم

ومع كل ما امتازت به تلك الامة القوية البأس لم تصدر للتأليف في الجغرافيا الصغر مملكتهم - وهذا يدل على أن أكبر الشروط التي يلزم توفرها للنجاح في الاشتغال

بعض الجغرافيا إنما هو اتساع المملكة وذلك لأن أمة اليونان كما قدمنا كانت من أحد الناس عقولا وكانت مشغلة بالتجارة ومع هذا لم تلتفت إلى علم الجغرافيا ولم تكن به

أمة الرومان وهم اللاتينيون الذين وصفهم ابن خلدون بأنهم من أشهر أمم الأرض وله أن يقول ذلك فلم توجد على سطح المعمورة أمة أشد بأسا وأقوى سلطانا من اللاتينيين الذين دوخوا العالم وغلبوا كل الأمم القديمة العاتية على أمرها ومع ما تمتاز به من ذلك البأس وهذا السلطان لم يذكر لها تصنيف في علم الجغرافيا وذلك لأن مملكتهم ما كانت متعة في أول أمرها

ومثل اليونان والرومان عرب الجاهلية فأنهم فقدوا شروط النجاح في ذلك العلم فلم يعرفوا فيه شيئا كسائر الفنون ولا عبرة بما ملئت به أشعارهم من أسماء الامكنة والجبال والمياه فإن هذا لا يؤخذ عنه علم منسق مفيد ومن أمثال ورود أسماء الامكنة ماجاء في شعر امرئ القيس

فما نيك من ذكري حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل
فانه ذكر جملة مواضع في بيت واحد ولكن هذا لا يؤخذ عنه علم صحيح
فالامة العربية في الجاهلية جهلت الجغرافيا لعدم توفر أسباب النجاح فيها لاسباب
التجارة البحرية لحوفهم ركوب البحر يدل على خوفهم من البحر ماروى من أن الوليد
ابن يزيد استعمل الاسود بن بلال المحاريبي على بحر الشام فقدم عليه أعرابي من
قومه ففرض له وأغراه البحر فلما أصابت البدوي تلك الاهوال قال شعرا منه

فله رأيي قاذي لسفينة وأخضر موار السرار يعمور
تري متته سهلا اذا الريح أقلعت وان عصفت فالسهل منه وغور
فيا ابن بلال للضلال دعوتي وما كان مثلي في الضلال يسير
لئن وقعت رجلاي في الأرض مرة وحان لأصحاب السفين وكور
وسلمت من موج كأن متونه حراء بدت أركانه وثبير

لتعرضن اسمي لدي العرض حلقة وذلك ان كان الاياب يسير
وتد كان في حول الشريعة مقعد لذيد وعيش بالحديث غريب
ومن أسباب جهلهم الجغرافيا عدم اشتغالهم بالنجوم فانهم ما كانوا يرقبونها الا
لمعرفة الامطار لا لمعرفة علم النجوم نفسه اذ كانوا يعتقدون أن المطر من النجوم ولذلك
نهامهم الاسلام عن هذا الاعتقاد بحديث هو (من قال سقينا بالنجوم فقد آمن بالنجوم
وكفر بالله ومن قال سقانا الله فقد آمن بالله وكفريا بنجوم)
فلما اتسع ملك العرب في صدر الاسلام نشأ عندهم علم الجغرافيا فصنفوا فيه كتباً
عديدة هي خير ما صنف في القرون الوسطى من تلك المصنفات (المسالك والممالك)
لعبد الله المروفي وابن خرداذبه (وصورة الارض) لابي موسى الخوارزمي و (صور
الارض) لابي زيد البلخي و (كتاب البلدان) للياقوبي وغيرهم
فاذا كان الامر كذلك وكانت كتب العرب في الجغرافيا في هذه الميزة من
عظيم القدر وجب أن نتفهم هذه المؤلفات وننظر أصلها ومصادرها ونميز خطأها من
صوابها وذلك بانتقاد صحيح لنتمتع بعلمها وممكنون أسرارها . فان جهل كثير من
الناسخ شبه وجه تلك الكتب الثمينة . فمن ذلك ما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي
فانه ذكر « فرتي » في باب الفاء نقلا عن الصحاح فيما يظهر فقال « فرتي » بفتح أوله
وسكون ثانية وتاء مشناة من فوق ووزن مفتوحة مقصور . قصر بمرور الروذ وكان ابن خازم
قد حاصرني زهير بن ذؤيب العدوي الخ ثم ذكر في باب القاف من هذا الكتاب
نفسه نقلا عن الطبري فيما يظهر قوله (قصر قربا) بفتح القاف والراء وسكون انون
ويا . موحدة موضع بخراسان وقيل بمرور كانت فيه وقعة لعبد الله بن خازم يبنى تميم
فهو يوم قربنا فالقصر واحد ولكن حرف الاسم فصار أسمين وأصل هذا التحريف من
الناسخ الذي نسخ كتاب الطبري ولا لوم على ياقوت نفسه فانه نقل الاسم الاول عن
الصحاح فوضعه في موضعه ثم نقل الثاني عن الطبري ووضعه في موضعه . وأغلط
الناسخ كثيرة فانهم كثيرا ما يتركون النقط والشكل فيفسدون المعنى ويغيرون مراد
الكتاب وسند كرم من ذلك أمثلة كثيرة في المحاضرات الآتية

أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

٢

بعض علماء الجغرافيا المعدودين — مبادئ اشتغال اليونان والعرب بعلم الجغرافيا وبعض من ابتدوا بها من الامتين — الامور التي مهدت سبيل علم الجغرافيا لبعض الامم القديمة — صورة الارض التي صنعها الرومانيون — بطليموس وتأليفه



من علماء الجغرافيا المعدودين الذين علا كعبهم في هذا الفن وتميزوا فيه عن النظراء بطليموس وهو من أعيان العلماء المبرزين في علمي الجغرافيا والتنجيم وكل من اشتهر بعده من العلماء القدماء في هذين الفنين عيال عليه اكتبوا من التأليف فيها بشرح مؤلفاته أو تلخيصها وكان بطليموس في القرن الثاني بعد المسيح . وقد نسبت اليه تأليف كثيرة بعضها ليس له وإنما نسب اليه زورا وبهتانا . ومنكنتي من تلك المؤلفات بذكر ماهوله وقبل أن نذكر منها شيئا يحسن أن نتصدر لايضاح شيء من أساليب الابتداء في علم الجغرافيا عند اليونان وتبيين الامور والحوادث التي مهلت ومهدت السبيل للتأليف في هذا العلم فنقول .

أول ما اشتغل به علماء اليونان من هذا العلم أخبار المدن كاتينا فجدوا لكل مدينة من مدنها التي ملكوها وحلوا فيها تاريخا وهم في هذا كالامة العربية لائنا نرى قبل الطبري والبلاذري والواقدي من مؤرخي العرب ناسا عنوا بأخبار المدن كالازرق فانه ألف كتاب (أخبار مكة) وكالفاسي والفاهي فانهما ألفا كتابين في أخبارها كذلك وكابن زبانا فانه ألف كتاب (أخبار المدينة) . وكعمر بن شبة فانه ألف كتاب (أخبار الكوفة والبصرة) وعناوين هذه الكتب تدل على موضوعها وعلى صدق ما نقول . ففي أوائل الاشتغال بالتاريخ يتفق العرب واليونان .

فمن اشتغل من علماء اليونان بأخبار المدن العالم الفذ الذي جاب يريد ذكره الآفاق هيرودتوس الذي سافر الى بلاد بعيدة ذكر في كتابه من أخبارها ما شاهدته ورآه بعينه ومن تلك البلاد التي ذكرها بعد سفره الشام غير أن كتابه هذا كتاب

أخبار وهو من المؤرخين لا الجغرافيين ولقد سمي أبا التاريخ ولم يسم أبا الجغرافيا .
ومنه (ملاح) اسمه باتيوس من مدينة مارسيل بفرنسا وكان في القرن الرابع قبل
المسيح وقد نسبت اليه اكتشافات منها أن نجمة القطب ليست في القطب ذاته ولكنها
بعيدة عنه بقليل وهو الصواب . ومنها ان القمر بأحواله سبب مد البحر وجزره ونسبة
هذا الاكتشاف الاخير اليه مما يرتاب في صحتها

ومنه رجل اسمه ديسياركس ظهر في القرن الثالث قبل الميلاد من مدينة مسينا
بإيطاليا وكان تلميذ أرسطاطاليس وألف كتابا سماه باليونانية بارودوس تيس جيس
ومعناه بالعربية الطواف حول الارض ولا بد أن يكون هذا الكتاب قد اشتمل على
شئ من علم الجغرافيا غير أنه مفقود

ومنه هيراطستيس ظهر في اقرن الثاني وكان من الفلكيين المشهورين وكان من
العلم في أعلى ذروة منه وله اكتشافات عظيمة كمدار الشمس وملاحظات في النجوم مفيدة
في تعيين الامكنة والكون علم النجوم والفلك يعين على النجاح في علم الجغرافيا لتعيين
مواقع الامكنة ساعد ذلك هيراطستيس على تصنيف كتاب في الجغرافيا سماه جغرافيكاً
أى المسائل الجغرافية ويشتمل هذا الكتاب على ثلاث مقالات الثالثة منها في تفسير
صورة الارض ولكن ذلك الكتاب مفقود .

كل ذلك كان بعد أن تغلب اسكندر ذو القرنين على المشرق وتسلط اليونان على المغرب
والمشرق حتى تسلطوا على الربع المسكون ولما تسلطوا على العالم كله شرعوا الشرائع وأقاموا
البريد وهذه الامور تسهل معرفة الارض . وبناء على ذلك رسم الرومانيون صورة الارض .
ابتداءً ذلك أغريبا وأكمل الرسم في زمن أغسطس أى قبل زمن المسيح بقليل وكان
مرسوماً في هيكل من هياكلهم .

ولا يخفى ان كل هذه الامور وتلك الصور وهذه المؤلفات التي حدثت في المملكة
الرومانية في القرن الثاني بعد المسيح سهلت الوصول ومهدت السبيل لدرس الجغرافيا .
وفي ذلك القرن ولد بطليموس كما قلنا فوجد السبيل ممهده والاسباب مهيأة للنجاح
في علم الجغرافيا فانتفع بتلك الاحوال وصنف كتاباً جليلاً في الجغرافيا الرياضية أى

الفلكية وقد اشتهرت بين اليونان واعتنى الرومان بتفصيلها ولم يزد عليها أحد ممن جاء بعد بطليموس شيئاً وإنما اقتصروا جميعاً على تفصيلها أو تلخيصها .

فمن قسري شيئاً من كتب بطليموس تاون الاسكندري (وهو أبو ايباتيا المشهورة البصرة بعلم الفلسفة قتلت في الاسكندرية) ومنهم باتيس وآخرون

فمن جاء بعد بطليموس من العلماء الاقدمين لم يأت بشيء جديد وإنما شرحوا كلامه وبقيت تصانيف بطليموس على ما كانت عليه وهي الركن الركين والعضدالمتين في الفلك والجغرافيا ونستطيع أن نقول ان الكتب المعتمدة المعول عليها في الجغرافيا والفلك وقت ظهور الاسلام إنما هي كتب بطليموس التي منذ كرها بعد الآن وهي أربعة كتب أولها المجسطي وكتاب الاربعة والزيج وهي في الفلك والرابع في الجغرافيا واسمه الجغرافيا وسيأتي الكلام على هذه الكتب الاربعة في المحاضرة الآتية

— ٣ —

جزئيات المحاضرة

تأليف بطليموس — رغبة العرب في اكتساب علوم الروم والفرس بعد أن تغلبوا على بلادهم — خالد بن يزيد الأموي — اهتمام المنصور وهارون الرشيد والمأمون بنشر العلوم ونقل الكتب اليونانية الى العربية



التأليف المنسوبة الى بطليموس كثيرة غير ان بعضها ليس له وقد نسب اليه زورا كما ذكر ذلك قبلاً وسنكتفي هنا بذكر ما لا يرتاب في أنه له وهي كتبه الاربعة التي سارت بذكرها الركنان وأولها الكتاب المسمى باليونانية *megali sin toxistis* *astronomias* ومعناه بالعربية (الترتيب الكبير في علم الفلك) وقد عرف عند العرب بالمجسطي . والثاني اسمه كتاب الاربعة . والثالث اسمه الزيج أي زيج بطليموس . وهذه الكتب الثلاثة في الفلك . والرابع اسمه كتاب الجغرافيا وهذه الكتب هي المعتمد عليها في علم الفلك وعلم الجغرافيا وكانت نماذج للمؤلفين ومرجعاً لهم منذ ابرازها الى ظهور الاسلام والى زمان خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس . فكل التأليف التي

صنفت في علم الفلك والجغرافيا في تلك الازمان لم يذكروا فيها شيء خلت منه كتب بطليموس وإنما كانت تلك التأليف مفصلات لكتبه أو ملخصات لها أو مقتبسة منها و بقيت العلوم على هذه الحال الى اقرن الخامس عشر بعد المسيح أيام استولت الدولة العثمانية على مصر

ولما ظهر الاسلام وابتدأ في الجهاد والقتال مع الفرس والروم وحدثت في أيام أبي بكر الصديق وقعة اليرموك سنة ١٣ هجرية التي هزم فيها خالد بن الوليد وأبو عبيدة جنود هرقل ملك الروم كانت تلك الهزيمة وفتح اليرموك سببا في فتح الشام. ففي هذه السنة في أيام عمر بن الخطاب فتح أبو عبيدة وخالد وعمرو بن العاص دمشق وحمص وحماه وسائر بلاد الشام حتي قيل أن ملك الروم سلم هذه البلاد تسليم من لا يرجو أن يعود اليها. هنا ما كان من أمر الشام

أما العراق ففي سنة ١٥ ه حدثت وقعة القادسية بين الفرس وقائدهم رستم وبين المسلمين وقائدهم سعد بن أبي وقاص الذي هزم جيش الفرس وكسر شوكتهم ففر قائدهم رستم ذلك البطل المغوار وقتل من الاعداء عدد لا يحصى حتي قال الشاعر

ألم تر أن الله أنزل نصره وسعد ياب القادسية معصم

فأبنا وقد آبت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن ايم

وكان فتح القادسية سببا في فتح العراق كما كان فتح اليرموك سببا في فتح الشام فلما استولى العرب على بلاد الروم واستقر ملكهم فيها رأوا ما عليه الروم من العلوم والمعارف فرغبوا فيها وجدوا في تحصيلها كما رغب الرومانيون أنفسهم في اكتساب علوم اليونان بعد أن استولوا على أقطارهم فان الرومانيين قبل استيلائهم على بلاد اليونان لم يتنبهوا للعلوم ولم يلتفتوا ألا الى الحروب والمعارك ولما استولوا على بلاد اليونان اشتغلوا بالعلوم وأخذوا في درس الفلسفة وأكرموا الشعراء وأصحاب الفنون كالمصورين وبنوا أبنية عجيبة في مدينة رومية حتي صارت من عجائب الدنيا .

في القرن الاول من الهجرة برع خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان بصيرا بعلمى الكيمياء والطب وكان يسمى حكيم آل أمية وكانت له همة عالية ومحبة شديدة في العلم. قيل انه أحضر جماعة من العلماء وكلفهم نقل الكتب اليونانية

الى العربية وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى أخرى وقيل انه أخذ الصناعة عن راهب اسمه مريانوس الرومي وأمر استقان القديم بنقل كتب يونانية ولاتينية الى اللغة العربية وكانت وفاة خالد بن يزيد المذكور في سنة ٨٥ هـ . وعنى بالعلوم كذلك خلفاء بني العباس كالمنصور وهارون الرشيد لاسيما المأمون . حكى أن المأمون رأى في منامه ارسطاطاليس فحضره علي طلب العلم . هذه رواية تحتل الصدق والكذب وعلى كل حال لا شك في أن المأمون من عشاق العلوم وكان مغرماً بعلوم الاوائل وجرت بينه وبين ملك الروم مراسلات في شأن العلم واستأذنه في انفاذ من يجمع الكتب المدخرة في خزائن الروم فأذن له ملك الروم فأنفذ الحجاج بن مطر ويحيى بن البطريق ويوحنا ابن ماسويه وغيرهم فذهبوا الى مدن الروم وجمعوا ما جمعوا من الكتب النفيسة ثم شرعوا في تفسيرها ونقلها الى العربية

— ٤ —

جزئيات المحاضرة

دار الحكمة في بغداد . خزانة الكتب في تلك الدار . مدرسة القسطنطينية التي أنشئت على عهد دار الحكمة . منافسة العرب والروم في نشر العلوم . بعض الكتب التي نقلت الى اللغة العربية في أيام المنصور وهارون الرشيد والمأمون . بعض مشهورى علماء العرب . تحقيق طول محيط الارض في زمن المأمون .

* * *

من الامور التي أحيت العلوم في الامة العربية اقامة دار الحكمة في بغداد . قيل أن الذى أنشأها هو هارون الرشيد وليس بعيد أن يكون هذا القول صحيحاً . غير أن الذى لا ريب فيه أن المأمون بن هارون الرشيد هو الذى عمر هذه الدار وأنضرها وكان في تلك الدار خزانة كتب قيمة كان علماء تلك العصر يجتمعون فيها للدرس والبحث والمذاكرة فمن هؤلاء العلماء الذين ازدانت باجتماعهم تلك الخزانة سلم وأبو حيان وقيل أبو حسان اختلف فيه لان كلا الاسمين يلتبس بالآخر

وقيل كان علان الشعوبى ينسخ من تلك الخزانة كتباً للرشيد والمأمون وللهرايمكة

وكان ابن أبي الحريش يجلد هذه الكتب وهو معروف بهذه الصناعة ولا يخفى ما في انشاء تلك الدار وهذه الخزانة والاشتغال فيها بالدرس والبحث والمذاكرة والنسخ وغير ذلك من أمثال تلك الأمور لا يخفى ما في كل ذلك من تسهيل نشر العلم وحياته في الأمة العربية

ومن الغرائب أن مدرسة تشبه دار الحكمة في بغداد أنشئت في ذلك الزمان في القسطنطينية أنشأها برادس وهو أخو امرأة توفيل بن ميخائيل ملك الروم .

ومن الذين ذلوا عقبات النجاح في العلوم عند الروم الملك قسطنطين الثاني كان مغرما بالعلم مكبا على تحصيله وألف كتباً بنفسه وأمر علماء مشهورين بتأليف بعض آخر فالعلوم ظهرت زاهية ناضرة في الأمة الرومانية كما ظهرت في الأمة العربية وكان الروم والعرب يتسابقون ويتبارون في نشر العلم وحياته وفي هذه المسابقة وتلك المباراة فوائد جمة للامتين فإن التنافس كلما كثر كلما انتفع به المتنافسون .

فن منافسة الأمة العربية عنايتها بنقل الكتب من اللغة اليونانية الى العربية ولقد ذكرنا قبلاً أن كتباً كثيرة نقلت عن اليونانية الى العربية في زمن المنصور والرشد والمأمون اعتنى بنقلها كثير من العلماء وسنكتفي منها بذكر كتب بطليموس وأنفس تلك الكتب وأولها المجسطى في علم الفلك وهو جليل القدر ولقد قيل أن كتباً ثلاثة اشتملت على جميع العلم الذي ألف فيه وهو المجسطى في الفلك لبطليموس وكتاب المنطق لأرسطاطاليس وكتاب سيويه في النحو

قال صاحب الفهرس أن يحيى بن خالد بن برمك عنى بتفسير المجسطى وباستخراجه وذهب قوم الى أنه هو الذى نقله بنفسه من اليونانية الى العربية وهذا بعيد والارجح عندى أنه أمر بنقله غير ان المفسرين لم يحسنوا نقله فتدب يحيى فلما مع أبي حسان أو أبي حيان فأحسنوا نقله مرة ثانية ثم نقله مرة أخرى الحجاج بن يوسف بن مطر وسرجون الرومى وهذا في أيام المأمون . وفسره آخرون من المتأخرين ولخصه محمد بن كثير الفرخاني .

اسم المجسطى غريب وكان عنوانه باليونانية *megali sin tox is tis astronomias* (ميجالى سينتا كسينس) قيل ان العرب أخذوا نصف الاسم الاول ميجا ثم نصف

الثاني كسيس فقالوا ميجا كسيس ثم حولوه فقالوا المجسطي
والكتاب الثاني من كتب بطليموس كتاب الاربعة في علم النجوم استخرجه
البطريق في أيام المنصور ثم نقله مرة ثانية ابراهيم بن الصلت وأصلح هذه النسخة حنين
ابن اسحاق المشهور .

والكتاب الثالث الزيج أى يزيج بطليموس شرحه أيوب وسمعان وذلك في أيام
هارون الرشيد .

والكتاب الرابع وهو كتاب الجغرافيا نقله بعض علماء السريان الى العربية طلب
ذلك منهم الكندى الفيلسوف المشهور ويشهد صاحب الفهرس أنه نقل نقلا رديثا
لا يرتق فقه ولا يرقع وهيه فاضطر الى نقله مرة أخرى نقلها ثابت بن قرة المشهور .
ومن الغرائب انه بعد سبع قرون أمر محمد الغازي فاتح القسطنطينية باستخراج
كتاب الجغرافيا .

هذا ومن مشاهير علماء العرب بنو موسى بن شاكر وهم محمد وأحمد والحسن الذين
ينسب اليهم جبل بني موسى قال ابن خلدون . وكانت لهم هم عالية في تحصيل العلوم
القدمية وكتب الاوائل وأتبعوا أنفسهم في شأنها وأنفذوا الى بلاد الروم من أخرجها لهم
وأحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاما كن البعيدة بالبذل السنى فأظهروا عجائب
الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم
وهو الاقل ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة واقصد وقفت عليه
فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد

قال ومما اختصوا به في ملة الاسلام وأخرجوه من القوة الى الفعل وان كان أرباب
الارصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه لكنه لم ينقل ان أحدا من أهل هذه الملة تصدى
له وفعله الا هم وهو ان المأمون كان مغرما بعلم الاوائل وتحقيقها ورأى فيها أن دورة كرة
الارض أربعة وعشرون ألف ميل كل ثلاثة أميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف
فرسخ بحيث لو وضع طرف جبل على أي نقطة كانت من الارض وأدركنا الجبل على كرة
الارض حتى انتهينا بالطرف الآخر الى ذلك الموضع من الارض والتقى طرفا الجبل فاذا
مسحنا ذلك الجبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل فأراد المأمون أن يقف على حقيقة

ذلك فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا نعم هذا قطعي. وقال أريد منكم أن تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا فسألوا عن الاراضي المتساوية في أى البلاد هي فقبل لهم صحراء سنجار في غاية الاستواء وكذلك وطأت الكوفة فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون بأقوالهم ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجاءوا الى الصحراء المذكورة فوقفوا في موضع منها فأخذوا ارتفاع القطب الشمالى ببعض الآلات و ضربوا في ذلك الموضع وتدارر بطوا فيه جبلا طويلا ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استواء الارض من غير انحراف الى اليمين واليسار حسب الامكان وكما فرغ الحبل نصبوا في الارض وتدارر آخر و ر بطوا فيه جبلا طويلا ومشوا الى جهة الشمال أيضا كقطعهم الاول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا الى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع الاول درجة فمسحوا ذلك القدر الذى قدره من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلا وثلاثي ميل فعملوا أن كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلا وثلاثان ثم عادوا الى الموضع الذى ضربوا فيه الوتد الاول وشدوا فيه جبلا وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا في جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التي استعملوها في جهة الشمال ثم أخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالى قد نقص عن ارتفاعه الاول درجة فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك



أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

٥

جزئيات المحاضرة

أسماء علماء العرب الذين اشتهروا في القرن الثاني والثالث من الهجرة في علم الجغرافيا وأسماء كتبهم.

* *

كما انتفع علماء العرب بالمجسطي في علم الفلك لبطليموس كذلك انتفعوا بكتابه في علم الجغرافيا فهم يرجعون في تأليفهم اليه ويعولون عليه . ومن القرن الثاني للهجرة فصاعداً تابع مؤلفو كتب الجغرافيا في الامة العربية وكثروا فهم كما قال الشاعر
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
فمن مذكورهم أبو موسى الخوارزمي الذي نبغ وبذ أقرانه في أيام المأمون والواثق بالله من خلفاء بني العباس فألف كتاباً سماه (صورة الارض) هذا فيه حذو لبطليموس واقتني أثره غير أنه جاء بكتاب جديد ممدوح مستحسن ولا يوجد الآن فيما نعلم من هذا الكتاب النفيس الا نسخة واحدة كانت قبلها في مصر وهي الآن في المانيا اشتراها بعض العلماء

ومن مشهوري علماء العرب أبو القاسم عبدالله بن خرداذبه كان جده مجوسياً ثم أسلم على يد البرامكة وكان ابنه أبو القاسم المذكور عاملاً على البريد في الجبال فأعانه عمله هذا على تأليف كتابه المشهور (المسالك والممالك) وهو من أجل ما صنف في وصف مملكة العرب حرره في مدينة سامرا بعد سنة ٢٣٠ هـ وله مؤلفات جديده وهزلية منها كتاب الطبخ وكتاب في الشراب .

ومنهم ابن واضح اليعقوبي كان بصيراً بعلوم الجغرافيا والتاريخ ألف كتاباً سماه (كتاب البلدان) وهذا في سنة ٢٧٨ هـ

ومنهم ابن الفقيه الهمداني من بلاد فارس ألف كتابا سماه (كتاب البلدان) كذلك . وذلك في ٢٩٠ هـ تقريبا غير ان كتابه مفقود ولم يقع علماء عصرنا الاعلى موجز منه أجزه على بن جعفر الشيزري

ومنهم عمر بن رسته كان موجودا في أواخر القرن الثالث حرر كتابا في عدة علوم منها الجغرافيا سماه (الاعلاق النفيسة) وكتاباه هذا سبعة أجزاء الجزء السابع منها في الجغرافيا

ومنهم على بن فضلان أرسله المقتدر بالله سفيرا الى ملك البلغار في سنة ٣٠٩ فساعدته ذلك على تأليف رسالة يذكر فيها أحوال الامم الشمالية .

ومنهم قدامة بن جعفر الذي ألف كتاب الخراج وضمنه أخبارا كثيرة تتعلق بأحوال مملكة العرب وبأحوال الممالك المتاخمة لها ..

ومنهم الجيهاني الذي أبرز كتابا في الخراج يشبه كتاب قدامة غير ان كتابه مفقود ..

ومنهم أبو دلف مشعر صاحب (عجائب البلدان) لم يصف في كتابه الا المشرق الاقصى وبلاد الصين والهند وجزائر الهند فلا نطيل الكلام في استقصاء البحث عن هذا الكتاب لاننا لا نتصدر في محاضراتنا هذه الا لذكر الكتب التي تعرض مؤلفوها لوصف بلاد او ووبا .

ومن مشهورهم واعيانهم ابو زيد البلخي الذي ألف كتاب (صور الاقاليم) وهو كتاب معترف له بالفضل وجليل القدر عند العلماء كافة وهو مفقود على ما يظهر غير ان ابا اسحاق الفارسي الاصطخري نقل اكثره وضمنه كتابه المسمى (مسالك الممالك) الذي أبرزه في سنة ٣٤٠ هـ ثم اصلحه ابو القاسم بن حوقل البغدادي وزاده في مواضع وتقصه في اخري فأبرزه ابرازا ثانيا وذلك في سنة ٣٨٠ هـ

هؤلاء بعض علماء الجغرافيا عند العرب في القرنين الثاني والثالث الذين استطاعوا ذكرهم في هذه المحاضرة وتلك كتبهم رتبناهم على حسب ازمانهم وسند ذكر ان شاء الله في المحاضرة الآتية سائرهم في هذين القرنين الثاني والثالث

(٦)

جزئيات المحاضرة

تمتة علماء الجغرافيا عند العرب في القرن الثاني والثالث . معنى لفظة جغرافيا واشتقاقها . موضوع الجغرافيا في بدء الاشتغال به . مبادئ تصوير الارض عند المصريين في ايام الفراعنة وعند الاثوريين . الصور القديمة عند اليونان . مايشتمل عليه كتاب بطليموس في الجغرافيا . اعتناء الرومانيين بتصوير الارض . واعتناء العرب كذلك

* *

ذكرنا قبلا في المحاضرة الفائتة اكثر علماء الجغرافيا في هذين القرنين والان سندكر سائرهم في هذه المحاضرة .

فمن المشهورين في هذا الفن ابو عبدالله محمد شمس الدين المقدسي نسبة الى بيت المقدس لانه ولد فيه ومن الناس من يسميه المقدسي (بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة) وكلاهما صحيح الف كتابا في سنة ٣٧٥ هـ مباح (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) ثم اصلحه وأبرزه ابرازا ثانيا ولم يتعرض في كتابه هذا لذكر بلاد الافرنج واهلها عمدا منه لاسهوا بل اقتصر فيه على ذكر البلاد الاسلامية التي جابها وطوى شرقها وغربها في مدة ٢٠ سنة وعلى ذكر ما فيها من المفاوز والجبال والبحار والأنهار والبحيرات والمدن والامصار وغير ذلك مما شاهده واجاد وصفه وحرره .

ومن أعيانهم واجلائهم علي بن الحسين المسعودي صاحب التأليف العديدة منها كتاب (التنبية والاشراف) و (مروج الذهب) الذي أوجز فيه كتابين ألفهما قبله وهما اخبار الزمان وكتاب الاوسط . حل المسعودي من العلم في أعلى منار منه وضرب في علمي الجغرافيا والتاريخ بسهم نافذ حتى سماه ابن خلدون اماما للمؤرخين . أعانه على التبريز والتفوق في هذين العلمين رحلاته الكبيرة فانه جاب الاقاليم حتى بلغ الشرق والغرب وقال عن نفسه

نسيم أقطار البلاد فتارة * لدى شرقها الاقصى وطورا الى الغرب
وأودع كتبه ناشاهده وراه بعيني رأسه في أسفاره وما رواه عن الثقات . وذكر

فيها تأليف كانت منتشرة شائعة في أيامه ثم فقدت فلا تعرف لها الآن آثار منها كتاب الحكيم الكندي المسمى بـ (رسم المعمور من الأرض) ثم توفي المسعودي بعد أن أبلى بلاء حسناً في طلب العلم واقتناص فوائده وضم فرائده في الفسطاط على ما قيل وذلك سنة ٣٤٥ هـ

ولفظ الجغرافيا معرب عن اليونانية وهو مركب في الأصل من كلمتين الأولى (جى) أي الأرض والثانية (جرافى) أي الرسم والتصوير فمعنى الكلمة الأصلي ليس هو القول على الأرض أو قطع الأرض كما زعم المسعودي بل هو رسم الأرض وتصويرها وفي الحقيقة كان مجال الجغرافيا في الأرض تصوير البلاد ومجال كتبها شرح هذه الصور.

الصور المنسوبة إلى المصريين في أيام الفراعنة والآثوريين لا يعابها لقصرها على مسافة محصورة

وفي القرن السادس قبل المسيح خطط يوناني اسمه انا كسندرس صورة الأرض وجاء بشيء غير تام بيد أن له فضل المتقدم ثم حذا حذوه هيكتانوس اليوناني والذي فاق المتقدمين هو اراتستينس الذي صور الأرض تصويراً حسناً لم يصنع مثله من قبله ثم اشتهر بعده كراتس ثم بعده بقليل مريونس وجميع هذه الصور مفقودة لا يوجد في هذه الأيام وإذا كان أصل الجغرافيا هو رسم الأرض كان أصل هذه الكتب المفقودة في هذا العلم شرح هذه الصور

أما كتاب بطليموس المشهور فإنه كان يحتوي على جملة صور تصور الأرض بلداً بلداً وقد فسرها المصنف في سياق كلامه.

وقد تقدم القول في رسم الأرض الذي صورته الرومانيون في أيام اغسطس وهو منقوش على حائط هينكل من هياكلهم.

وكذلك سيأتي القول على مؤلفات العرب في صور الأرض مثل كتاب الصور للبلخي والصورة المأمونية.

ولقد كانت هذه الصور أجل عامل في رقي الدول ومدنيتها واتساع ممالكها

- ٧ -

جزئيات المحاضرة

كثرة صور الارض وشيوعها عند العرب في الجيل الثاني والثالث وكتب حكماءهم.
ذكر الصورة المأمونية وغيرها. تأثير هذه الصور في توسيع مملكة العرب على عهد العباسيين.
ذكر ما جاء في كتب الجغرافيا التي وصفها العرب من اخبار بلدان الافرنج. علم حكماء
العرب ببلدان الافرنج

..

ذكرنا قبلا ان صور الارض كثيرة شائعة عند الامم القديمة . ولا يخفى منافع هذه
الصور لاهل الدولة لاسيما الدول المتسعة . مما لكها . وذلك لانقاذ الامر والتهى الى
الاقطار البعيدة والاصقاع الشاسعة وتسهيل عمارة البلاد وسياستها وتبدير امورها
ولقد تنبه حكماء العرب الى فضل هذه الصور وعرفوا احتياج مملكتهم الى تأليف
كتب في الجغرافيا يصور فيها رسم الارض فوضعوا في ذلك كتباً كثيرة جليلة ملئت
بالصور فمعظم كتاب أبي زيد البلخي كان يتألف من رسوم خفي سمي (صور الاقاليم)
وكذلك كتاب الحكيم الكندي المسمي (رسم المعمور من الارض) وكتاب الخوارزمي
وعنوانه (صورة الارض) وعناوين هذه الكتب تدل على موضوعها فان جميعها يرجع
الى تصوير الارض .

..

وليس حكماء العرب هم الذين عنادون غيرهم من الامة العربية برسم صورة الارض بل أن
أمراءهم كذلك ومنهم أمير المؤمنين المأمون الخليفة العباسي فانه أغرم برسم صورة الارض
وبذل قصارى جهده في ابرازها فجمع ممن بالعراق من حكماء دولته زهاء سبعين حكماً
على ما قيل فاجتمعوا على تكوينها وأحكامها حتي فضلت بذلك ما تقدمها من الصور . ولقد
ذكر المسعودي هذا الرسم المأموني بقوله . وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون
اجتمع على صنعها عدة من حكماء أهل العصر وصور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره
وبحره وبغماره وغاميره ومساكن الامم والمدن وغير ذلك وهي أحسن مما تقدمها من

جغرافية بطليموس وجغرافية مارينوس

وفي مدينة برلين من أعمال ألمانيا مخطوط يشتمل على مثل هذه الصور وزعم بعض حكماء عصرنا أنه كتاب البلخي وليس يقين . وزعم المقدسي أنه رأي عدة صور تمثل بحر الهند والصين رسمت على ورقة في خزانة أمير خراسان ثم على (كراسة) قطعة من قماش في مدينة نيسابور ثم في خزانة عضد الدولة

ثم ذكر المقدسي هذه الصور الثلاثة فقال انها تمثل شيئا واحدا ولكنها مختلفة وعبارته (وكل مثال يخالف الآخر)

والخلاصة أن صور الأرض والبحار والمدن كانت كثيرة شائعة في تلك الايام وعليها بنيت كتب الجغرافيا وسندكر بعض مدن أوروبا المذكورة في هذه الكتب القديمة

..

ولقد أفادت هذه الصور أهل الدولة على ملك بني العباس لاتساع مملكة الاسلام اذ ذاك من المغرب الاقصى الى الهند والى ما وراء النهر فسبغت عليهم سياسة ملكهم وتدير أمورهم وقضاء مصالح رعاياهم في تلك الاقطار الواسعة والبلاد الشاسعة أما بلدان الافرنج وشعوبهم المذكورة في كتاب البلخي على ما نقله عنه الاصطخرى فهي الجلائقة والصقالبة ورومية وايناس وزاد عليه ابن حوقل فذكر قلورية والانكبردة ونابل وملف وغيرها وذكر المسعودي باري وتارتو .

أما الجلائقة فهم سكان جليقيا في شمال جزيرة الاندلس

أما الصقالبة فهم المسمون الآن السلاف وكلاهما أى الجلائقة والصقالبة شعوب متاخمة لبلاد الاسلام ولببلاد الروم غير انه لم يبلغ علماء العرب من أخبارهم الا شئ يسير لا يعبأ به فأما أخبار رومية فسيأتي الكلام عليها في موضعه وفي أثناء ذلك تسلط بنو ابراهيم بن الاغلب على جزيرة صقلية على يد زيادة الله فأخذ المسلمون يترددون على صقلية فبلغهم خبر البلاد المجاورة لها وعلموا منها شيئا كثيرا ولذلك نرى أبا القاسم ابن حوقل يزيد على الاسماء المدونة في كتاب الاصطخرى أخبارا مفصلة تتعلق بصقلية لانها قد صارت دار الاسلام ثم ذكر ابن حوقل قلورية والانكبردة ونابل وملف

فمعرفة حكماء العرب ببلدان الافرنج ليست كثيرة وانما هي يسيرة فوق الحد الا

ما يختص منها بمدينة رومية وعجائبها وسيأتي القول على مدينة رومية في غير هذا الموضع

٨

جزئيات المحاضرة

. المدن التي ذكرها المسعودي مثل باري وتارتو في جنوب ايطاليا . عدم ذكر
سائر المدن المشهورة في أوروبا في ذلك الوقت الا مدينة رومية . سبب جهل العرب
مدن أوروبا . بعض علماء العرب في علم الجغرافيا من القرن الرابع الى القرن العاشر
وبعض كتبهم . فائدة هذه الكتب في معرفة ايطاليا وأوروبا



ذكرنا قبلا اسم انكبرة وقد ذكره المسعودي في كتابه وذكر الوشكنس
والفرطس وكذلك باري وتارتو وغيرها وجميع هذه المدن في جنوب ايطاليا على شاطئ
البحر فكان المسلمون يغيرون عليها من سواحل صقلية ويختلفون اليها فبلغ خبرها علماء
العرب في الشرق .

فحكما العرب من الجيل الثاني الى الخامس لم يخبروا من بلاد الافرنج الا شيئا
يسيرا للغاية حتى ان سائر مدن ايطاليا وأوروبا لا يثر لها عندهم مع عدتها وشهرتها في
ذلك الزمان على شيء من الذكر . وما ذكره الخوارزمي من ذلك انما هو مأخوذ من
كتاب بطليموس ولا يدل على معرفه الخوارزمي بها ويجب أن نستثنى من ذلك مدينة
واحدة وهي مدينة رومية فقد وصفها جماعة من الأئمة كابن خرداذبه وابن الفقيه
الهمداني وعلي بن الحسين المسعودي وذكروا عنها أحاديث عجيبة وأطبال ياقوت
الحموي الكلام عليها وسيأتي ذكر ما قاله عنها في محاضرة آتية . وهذا غريب بالنسبة
للبقلة معرفة العرب لسائر المدن والامم وسنعال ذلك في محله في بسط كلامنا على
رومية .



وان سأل سائل بجهل حكما العرب . أكثر أم الغرب ومدنهم على حين أن جزيرة
الاندلس في الغرب دار الاس لام وان المستظمين كانوا يختلفون اليها من المشرق والي

المشرق منها . أنجناه أن ابن واضح يعقوبى أخبرنا عن الطريق التي كان يسلكها من قصد جزيرة الاندلس فقال : من أراد جزيرة الاندلس يسلك من مصر الى برقة ثم الى طرابلس ثم الى القيروان وتونس : وذلك بعيد من أوروبا ثم يقول : ويسير مسيرة عشرة أيام مسحلا غير موغل حتى يحاذي الجزيرة :

واذ كان المسلك وعرا فلا فرصة لاختلاف السفار والتجار الى البلدان الغربية غير الاسلامية ومعرفة أخبارها وأحوالها وصفاتها ومميزات شعوبها وأحوال مدنها وبحارها وأنهارها ونباتها وحيوانها



وقد تقدم ذكر المتقدمين من أئمة الجغرافيا في القرنين الثاني والثالث والآن تتبعهم بذكر بعض من اشتهر في هذا العلم كذلك من القرن الرابع الى العاشر .
فن أعيانهم وفحولهم أبو الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ألف كتابا جايلا سماه (الآثار الباقية من الالام الحالية) وكتاب (تاريخ الهند) وألف غير هذين الكتابين كتابا عديدة في علم الفلك ولا نطيل الكلام في ذكر موضوع كتبه مع فائدها وقضاها وكما لا لانها بعيدة عما نحن في صده .

ومنهم أبو عبيد البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ وهو مؤلف كتاب (المسالك والممالك) وهو لم يطبع الآن ولا ندرى هل ملك فيه مسلك ابن خرداذبه والاصطخرى وابن حوقل أم لا . وهو مؤلف كذلك كتاب (معجم ما استعجم) ذكر في هذا الكتاب أسماء الامكنة الواردة في أشعار العرب ومنازل البداوة وهو مرتب على ألف المعجم وهو كتاب مفيد جدا في معرفة ما جاء في أشعار العرب في الجاهلية وفي صدر الاسلام وأشعار الفحول في أيام بني أمية كالفرزدق وجريز والاخلط وغيرهم ومعين على فهمها وقد سبقه الى ذلك جماعة منهم أبو سعيد الاعمى وأبو عبيد واليرافى صاحب كتاب (جزيرة العرب) وتابعه الزمخشري في كتابه المسمى (الامكنة والجبال والمياه) وكذلك محمد بن أحمد الهمداني المتوفى محبوسا في صنعاء سنة ٣٣٤ هـ فانه ألف كتاب (جزيرة العرب)



فهذه الكتب جميعها مفيدة ولولاها لخط القارىء خط عشواء وليس استيفاء ذكرها مما نحن بصدد فاتها لا نومي . أقل إيماء الى بلاد المغرب ونحن لاندكر من كتب حكماء العرب فى الجغرافيا ونستوفى الكلام عليه الا ما تعرض منها لذكر بلاد أوروبا كما أسلفنا ذلك غير مرة

٩

جزئيات المحاضرة

بعض علماء الجغرافيا وبعض كتبهم . فائدة هذه الكتب بالنسبة الى معرفة ايطاليا وأوروبا ذكر أصحاب الرحل من العلماء

..

فى أوائل القرن السادس اشتهر محمد بن أبى بكر الزهرى وكان مسقط رأسه غرناطة فى جزيرة الاندلس ألف كتاب الجغرافيا صنفه فى أوائل القرن السادس ونقله من كتاب القمارى وقيل الفزادى وهذا الاسم غير أكيد يختلف فى كتابته ومرجع كلا الكتابين الى الصورة المأهولة التى تقدم ذكرها .

ومن الأئمة أبو عبد الله محمد بن ادريس المعروف بالشرىف الادريسى وهو كريم المتمد كان ينتمى الى على بن أبى طالب وهو من سلالة ادريس بن عبد الله والادريسيون هم أصحاب المغرب الاقصى أى مراکش من سنة ١٧٢ هـ الى سنة ٣٧٥ وللشرىف الادريسى من التأليف كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) ويقال له كذلك كتاب رجار وذلك لأنه صنفه برسم الملك رجار الثانى ملك صقلية وجنوب ايطاليا فسمى باسمه أنجز تصنيفه فى سنة ٥٤٨ هـ قال شهاب الدين العمري : ان هذا الكتاب أصبح كتاب فى هذا الباب ثم ألف الشرىف الادريسى كذلك كتاب (أنس المهج وروض القرج) وسلك فى مؤلفاته مسلكا جديدا لم يسبق اليه ووصف بلاد أوروبا وايطاليا وجبالها وأنهارها مفصلة ومتنوعة وهذا الكتاب مدار علم العرب بمعرفة الغرب وهو المعول عليه فى هذا . فكل من كتب على الغرب من علماء العرب أخذ عن الادريسى . ومنهم محمد بن عبد الرحيم أو عبد الرحمن المازنى المتوفى سنة ٥٦٥ هـ ألف كتابا

سماء (تحفة الالباب ونخبة الاعجاب) وكتاب (نخبة الاذهان فى عجائب البلدان) ثم كتاب (عجائب المخلوقات) وهذه الكتب موجودة كلها مخطوطة ولم يطبع منها شئ الى الآن .

..

ثم ان جماعة من العلماء اقتصروا على وصف أسفارهم ورحلهم وذكروا أخبارا تتعلق بالجغرافيا ولم يتصدروا لاستيفاء مسائلها .

فمنهم محمد بن على الموصلى صنف كتابا سماه (عيون الاخبار) وذلك فى أواخر القرن السادس يصف فيه رحلته الى الشام والى مصر ولا علاقة له بأراضى المغرب خلافا لمحمد بن جبير الكنانى صاحب الرحلة المشهورة المطبوعة يذكر فيها جزيرة سردينيا فى بلاد ايتاليا وصقليا وتوفى فى الاسكندرية سنة ٦١٤ هـ .

ومنهم أى ممن وصف مارآه وشاهده فى أسفاره أبو عبد الله بن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ وهو صاحب كتاب (الاعلاق الحظيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة) ومنهم أبو محمد العندرى الذى ألف رسالة (رحلة) بين فيها سفره الى بلاد افريقيا وما رآه فيها : فليس المغرب وأوروبا موضوع الكتابين .

ومن مشهورينهم وأعيانهم أبو عبد الله ياقوت الحموى الرومى المعترف له بالفضل والاسبقية المتوفى سنة ٦٢٦ هـ أسر صغيرا ثم أعتقه مولاه وقرأ على العبرى صاحب تفسير المني وكان رحلة قال عن نفسه أنه انتقل من بلاد الى بلاد حتى بلغ السد أو كاد . وكان يمر والشاهجان فى خوارزم وتصفح الكتب الموجودة فى تلك المدينة واذ ذاك خزائن الكتب فى مرو كثيرة . يقول ياقوت . انه انهزم فى أيام خروج التترأى المغول أبادهم الله . (هكذا يقول) وهرب فى ذلك الوقت كبعثه يوم الجسر من رمسه لشدة الهول فترك كل متاعه وما يمتلكه وكان صنف كتباً وجمع أخبارا وأشياء كثيرة فترك ذلك كله فيما تركه عند فراره ثم ألف كتاب (معجم البلدان) ليس فى تأليف العرب فى الجغرافيا كتاب أنفع منه فان ياقوت لم يأل جهدا فى جمع أخبار البلاد الاسلامية وغيرها ثم رتبها على حروف الهجاء وطبع هذا الكتاب عديم الشبه بآدى الامر فى ألمانيا ثم طبع ثانية هنا فى مصر واختصر هذا الكتاب أبو الفضائل صفي الدين عبد

المؤمن بن عبد الحق المتوفي سنة ٧٣٩ وسماه (مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع) وألف ياقوت كذلك كتابا سماه (المشترك وضعاً والمختلف صقعا) ذكر فيه الامكنة المتفقة في الكتابة المختلفة في الدلالة وذلك مثل طرابلس الشام وطرابلس الغرب ومنهم زكريا بن محمد القزويني المتوفي سنة ٦٨٦ هـ ألف كتابا مشهورا وهو كتاب (عجائب المخلوقات وآثار البلاد) وهو مطبوع في المانيا على هامش كتاب الدميري أبرزه أولا سنة ٦٦١ هـ ثم زاده وتقعحه وأصلحه وأبرزه ابرازا ثانيا وتلك النسخة المنقحة هي المطبوعة وفي هذا الكتاب أخبار عديدة عن بلدان أوروبا

— ١٠ —

جزئيات المحاضرة

تتمة علماء الجغرافيا الى القرن العاشر . مؤلفات المتأخرين ومؤلفات المتقدمين

..

ذكرنا قبلا علماء العرب في الجغرافيا من لدن القرن الثاني ولكتنا لم نذكر سائرهم الى القرن العاشر واذ كنا قد وعدنا أن نذكر هؤلاء العلماء من لدن القرن الثاني الى القرن العاشر نتصدر الآن لاستيفاء الكلام على الباقي منهم فمنهم على بن موسى بن سعيد المغربي ولد في المغرب ثم جال في الديار المصرية والعراق والشام وتوفي سنة ٦٨٥ هـ وقيل سنة ٦٧٣ هـ ألف كتابا سماه (بسط الارض في طولها والعرض) ويقال لذلك الكتاب أيضا كتاب (جغرافيا) مطلقا ولقد نحا فيه المؤلف نحو بطليموس وهو غير مطبوع وهو مخطوط موجود الآن في باريس ومن برع من علماء الجغرافيا في القرن الثامن أبو عبد الله شمس الدين الانصاري الدمشقي وهو صاحب كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) . توفي سنة ٧٢٧ هـ وكتابه هذا مطبوع في النمسا

ومنهم الملك أبو الفداء اسماعيل عماد الدين ملك حماة المتوفي سنة ٧٣٢ هـ وهو صاحب كتاب التاريخ الجليل الذي سارت بذكره الركبان المسمى (المختصر في أخبار البشر) وهو أول كتاب اسلامي في أخبار العرب وخلفائهم وسلاطينهم تنقل بين أيدي

حكاء أوروبا وطبع هذا الكتاب في أوروبا منذ زمان طويل وطبع حديثا في القسطنطينية ومصر وألف أبو الفداء المذكور كتابا في علم الجغرافيا سماه (تقويم البلدان) اقتبس فيه كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي الذي تقدم ذكره ثم ألف كتابا آخر سماه (اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك) أوجز فيه ماجاء في تصانيف المتقدمين ورتبه على حروف الهجاء لتسهيل المأخذ ولتعميم الفائدة .

ومنهم شهاب الدين العمري صاحب كتاب (مسالك الابصار في ممالك الامصار) وكان شهاب الدين هذا معاصرا لابي الفداء ونظم الملك الناصر ابن قلاوون وأخذ من كتاب الشريف الادريسي أخبارا عديدة تتعلق بإيطاليا أكثر مما ذكره المتأخرون ومنهم نجم الدين الحراني الذي اشتهر في ذلك العصر كذلك وتوفي سنة ٧٣٢ ألف كتابا سماه (جامع الفنون وسلاوة المحزون)

ومنهم محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة المتوفي سنة ٧٧٩ وهو صاحب الرحلة المشهورة ولم يتعرض فيها لذكر بلاد أوروبا ومنهم العلامة ابن خلدون فانه ذكر في مقدمته المشهورة الاقاليم السبعة وبعض أخبار مدنها

ومنهم عمر سراج الدين بن الوردى المتوفي سنة ٨٥٠ هـ تقريبا ألف كتابا سماه (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) حذا فيه حذو كتاب نجم الدين الحراني الذي تقدم ذكره بل سرق قوله فانه أخذ كل كلامه منه حتي كانه هو .

ومن علماء الجغرافيا في القرن العاشر محمد بن اياس المتوفي سنة ٩٣٠ هـ تلميذ السيوطي المشهور ألف كتابا سماه (نشر الازهار في عجائب الاقطار)

الى هنا تم ذكر أسماء الجغرافيين وكتبهم فرأينا من ذكر كتبهم أن أكثر كتب المتأخرين مختصرة من كتب المتقدمين والاختصار لا يفي عن الاصل وربما كانت مخلة قال ابن خلدون أن الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم وقال ياقوت الحموي المشهور المختصر لكتاب كمن أقدم على خلق سوى قطع أطرافه فتركه أشل الپدين أثير الرجلين أعني العينين أصلم الاذنين

- ١١ -

جزئيات المحاضرات

تقسيم علماء العرب في الجغرافيا بالنسبة لعلمهم بأوروبا وإيطاليا الى طبقتين .
الادريسي من علماء الطبقة الثانية والملك رجار الثاني ملك صقليا وجنوب ايطاليا . سائر
المتأخرين من الجغرافيين

مصنفوا الكتب التي ذكرناها كلها هم بالنسبة الى معرفتهم بأوروبا وإيطاليا ينتمون
الى طبقتين تقريبا الطبقة الاولى من الاقدمين الى الشريف الادريسي ومنهم ياقوت
ابن حجة الحموي والطبقة الثانية من الشريف الادريسي فمن بعده
وقد أبنا أن مؤلفي الطبقة الاولى لم يحصلوا من العلم بأوروبا وإيطاليا الا القليل ولم
يذكروا الا أسماء بعض المدن أو بعض الامم دون تفصيل أخبارها وشرح أحوالها
ماعدا أخبار مدينة رومية .

أما كتاب الادريسي الذي هو أول الطبقة الثانية فانه على خلاف ذلك والسبب
الذي من أجله ألف كتابه على ما حكاه هو نفسه : ان الملك رجار الثاني ملك صقلية
وجنوب ايطاليا بعد ان استقرت له السلطة وأطاعه الشعب أراد أن يحقق تخوم مملكته
وجبالها وبحارها ومسالكها ثم زيادة على ذلك أراد أن يعرف أحوال سائر البلاد فجمع
كتب علماء اليونان واللاتين وسأل الادباء والالباء ولم يأل جهدا في تحصيل هذه
الاخبار مدة خمس عشرة سنة و بعد ان رسم على صفحة مسافة البلاد أمر أن تفرغ
من النضة الخالصة دائرة عظيمة الجرم ثم امر الفعلة ان ينقشوا فيها صور الاقاليم السبعة
ببلادها وخلقجانها وأنهارها وما بين كل بلد من الطرق السلوكية والمسافات المحدودة ثم
امر الشريف الادريسي أن يؤلف كتابا في شرح صور هذه الدائرة ويصف فيه اخبار
البلاد كلها وأحوال سكانها فامثل الادريسي امره وصنف كتاب (نزهة المشتاق)
ضممته رسوما كثيرة وأودعه من جغرافية المغرب ومن أسماء المدن المحققة وأخبارها
الصحيحة مالا يحصى عدده على حين ان ما ذكره آل الطبقة الاولى من ذلك يسير
لا ينخلو من الغلطات . ومن المدن التي ذكرها الادريسي مدينة مسينا قال انها من أجل
البلاد وأكثرها عارة . ولم تزل مسينا كما ذكرها الادريسي الى هذه الايام الاخيرة

حين زلزلت الارض فخربت المدينة خرابها ثلثا مفزعا . ثم ابرز الادريسي كتابه ثانية ولا نعرف كيفية هذا الابرار . أما كتاب (أنس المهج وروض الفرج) فقد لخص فيه ما أورده في كتابه نزهة المشتاق من وصف صقلية وزاد عليه ما يختص بسائر بقاع ايطاليا ولا يوجد من هذا الكتاب فيما اعلم الا نسخة واحدة في القسطنطينية وهي تحتوي على ٧٥ رسما وأما النزهة فموجود منها نسخ محفوظة في باريس وفي بلاد الانجليز ولم يطبع من النزهة الا جران طويلان وهما وصف جزيرة الاندلس وافريقيا ووصف ايطاليا وأما اختصاره المسمى (نزهة الامصار) فقد طبع من زمان في ايطاليا وهو بالنسبة للاصل كالاختصارات التي ذمها ياقوت الحموي كما تقدم .

هذا شأن الادريسي الذي هو مبدأ الطبقة الثانية أما سائرهم فلم يطيلوا الكلام على بلاد أوروبا واكتفوا بالقليل الذي نقلوه عن الادريسي حرفا بحرف في الاغلب كابن سعيد المغربي وأبي الفداء وشهاب الدين العمري وابن الوردي وآخرين وما لم ينقل عن الادريسي فهو من الخرافات كقول القزويني : ان الافرنج لا يغتسلون في العام الا مرة أو مرتين بالماء البارد : وما يشبه ذلك .

فخلاصة ما ينه أن من حكماء العرب من اقتصر على وصف جزيرة العرب أو على وصف رحلهم في بلاد الشرق ولا محل فيها لآخبار أوروبا ومنهم من جمع أخبارهم الأرض بأسرها وذكر الجبال والأنهار والبحار والمدن والاقطار وما أشبه ذلك . فهم طبقتان . فأخبار أوروبا كثيرة عند علماء الطبقة الثانية وأخص منهم الادريسي وهي سيرة الى الغاية عند حكماء الطبقة الاولى ماعدا أخبار مدينة رومية . وسنقدم الآن على شرح أخبار رومية في المحاضرة الآتية وسنورد كلام ياقوت الحموي على رومية في كتابه معجم البلدان

ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

١٢ و ١٣

جزئيات المحاضرتين

كلام ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان على مدينة رومية وهو من الخرافات
الا التز اليسير . شرح بعض تلك الخرافات .

* * *

وعدنا في آخر المحاضرة الفائسة أن نورد كلام ياقوت الحموى على مدينة رومية
وها نحن نذكر كلامه الذى أورده في باب الرا . من كتابه معجم البلدان الذى تقدم
ذكره في محاضرة فائسة ويقع ذلك في الصفحة ٣٣١ من الجزء الرابع من النسخة المطبوعة
في القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ وسنة ١٩٠٦ م قال ياقوت

(رومية) بتخفيف الياء من تحتها تقطنان كذا قيده الثقات . . قال الاصمعي وهو
مثل انطاكية . وأفابية . ونيقية . وسلوقية . وملطية . وهو كثير في كلام الروم وبلادهم .
وها روميتان احدها بالروم والاخرى بالمداثن بنيت وسميت باسم ملك قاما الى في
بلاد الروم فهي مدينة رياسة الروم وعلمهم . . قال بعضهم هي مساة باسم رومي
ابن لنطي بن يونان بن يافت بن نوح عليه السلام . . وذكر بعضهم انما سمى الروم روما
لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها رومانس بالرومية فرب هذا الاسم فسمي من كان
بها رومي وهي شمالي وغربي القسطنطينية بينهما مسيرة خمسين يوما أو أكثر وهي اليوم
يد الافرنج وملكها يقال له ملك المان

وتقول . ان ملك ألمانيا كلث وقتند مسلطا على ايطاليا

قال ياقوت وبها يسكن البابا الذى قطيعه الفرنجة وهو لهم بمنزلة الامام متى خالفه
أحد منهم كان عندهم عاصيا مخطئا يستحق النفي والطرده والقتل يحرم عليهم نساءهم
وغسلهم وأكلهم وشربهم فلا يمكن أحدا منهم مخالفته . . وذكر بطليموس

(١) فى كتاب الملحة قال مدينة رومية طولها خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة وعرضها احدى وأربعون درجة وخمسون دقيقة فى الاقليم الخامس طالعها عشرون درجة من برج العقرب تحت سبع عشرة درجة من برج السرطان يقابلها مثلها من برج الجدى بيت ملكها مثلها من الحل بيت عاقبتها مثلها من الميزان لها شركة فى كف الجذماء حولها كل نحو عامر وفيه جاءت الرواية من كل فيلسوف وحكيم وفيها قامت الاعلام والنجوم . . وقد روى عن جبير بن مطعم انه قال لولا أصوات أهل رومية وضجهم لسمع الناس صليل الشمس حيث تطلع وحيث تغرب . . ورومية من عجائب الدنيا بناء وعظماً وكثرة خلق وأنا من قبل ان آخذ فى ذكرها أبرأ الى الناظر فى كتابى هذا مما أحكيه من أمرها فانها عظيمة جدا خارجة عن العادة مستحيل وقوع مثلها ولكني رأيت جماعة ممن اشتهروا برواية العلم قد ذكروا ما نحن حاكوه فاتبعناهم فى الرواية والله أعلم . . روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال حلية فى بيت المقدس أهبطت من الجنة فأصابتها الروم فانطلقت بها الى مدينة لهم يقال لها رومية قال وكان الراكب يسير بضوء ذلك الحلي مسيرة خمس ليال

وتقول . أصل هذا الخبر من اليهود ومرجعه الى أسفارهم الموجودة فى يومنا هذا حكي فيها ان تابوت بنى اسرائيل ومائدتهم ومنازلهم (أى شعبدانهم) عملها موسى على مثال منازل منها من السماء . وأما اضاءتها فبما نل ما حكي القزوينى من ياقوتة حمراء على قبة الصخرة كان فى ضوءها تغزل نساء أهل بلقاء (من أعمال دمشق) وكل هذا من الاساطير . وأما انطلاق الرومانين بحلى بيت المقدس الى رومية فهو صحيح محقق قال ياقوت . . وقال رجل من آل أبى موسى أخبرنى رجل يهودى قال دخلت رومية وان سوق الطير فيها فرسخ

وتقول خبر سوق الطيور من أسفار اليهود كذلك

قال ياقوت . . وقال مجاهد فى بلد الروم مدينة يقال لها رومية فيها ستمائة ألف حمام

(١) قال الاسناذ . ومنهم من يضبطه بطليموس وهذا الكثير فى الكتب القديمة وزعم القزوينى أن بطليموس وبالموس شخصان لا شخص واحد نسب الى الاول كتاب المجسطي والى الثانى كتاب الاحكام النجومية وهذا وهم منه

وتقول . عدد الحمامات ظاهر الغلو ويحق على هذا وعلى ما يليه قول ابن خلدون : انهم تاهوا في يدهاء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد : وكانت مقوف الهياكل مرصعة (أى مصنوعة بالرصاص) لاسقوف البيوت كلها

قال ياقوت . . وقال الوليد بن مسلم الدمشقي أخبرني رجل من التجار قال ركبنا البحر وألقنا السفينة الى ساحل رومية فأرسلنا اليهم انا اياكم أردنا فأرسلوا الينا رسولا فخرجنا معه نريدها فعلونا جبلا في الطريق فاذا بشئ أخضر كهيئة الحج فكبرنا فقال لنا الرسول لم كبرتم قلنا هذا البحر ومن سبيلنا ان نكبر اذا رأيناه فضحك وقال هذه مقوف رومية وهى كلها مرصعة قال فلما انتهينا الى المدينة اذا استدارتها أربعون ميلا في كل ميل منها باب مفتوح قال فانهينا الى أول باب واذا سوق الياطرة وما أشبهه ثم صعدنا درجا فاذا سوق الصيارقة والبزازين ثم دخلنا المدينة فاذا في وسطها برج عظيم واسع في أحد جانبيه كنيسة قد استقبل بحراها المغرب وبابها المشرق وفي وسط البرج بركة مبلطة بالنحاس يخرج منها ماء المدينة كله وفي وسطها عمود من حجارة عليه صورة رجل من حجارة قال فسألت بعض أهلها فقلت ما هذا فقال ان الذى بنى هذه المدينة قال لاهلها لا تخافوا على مدينتكم حتى يأتكم قوم على هذه الصفة فهم الذين يفتحونها

وتقول . حكاية العمود والصورة جاءت في كتب اللطین والروم وأصل ذلك انهم كلما رأوا تمثال راكب رافع يده وهو كثير في أوروبا خيل اليهم أن الراكب ينذر أهل المدينة وينبئهم بما سيحدث . ومن هذا القبيل ما حكى ابن خرداذبه وغيره من فرس من نحاس بارض الاندلس وهو باسط يده كأنه يقول ليس خلفي مسلك . وحكى ان في مدينة طليطلة نساوير أفراس مكتوب عليها لا تفتح هذه الارض حتى يأتيا قوم يشبهون هذه النساوير أو نحو ذلك والنساوير هى العرب على خيولهم بعائمهم وقسيهم

قال ياقوت . . وذكر بعض الرهبان ممن دخلها وأقام بها أن طولها ثمانية وعشرون ميلا في ثلاثة وعشرين ميلا ولها ثلاثة أبواب من ذهب فمن باب الذهب الذى في شرقها الى البابين الآخرين ثلاثة وعشرون ميلا ولها ثلاثة جوانب في البحر والرابع في البر والباب الاول الشرقى والآخر الغربى والآخر اليمنى ولها سبعة أبواب آخر سوى هذه الثلاثة الأبواب من نحاس مذهب ولها حائطان من حجارة رخام وقضاء

طوله مائتا ذراع بين الحائطين

وتقول . اختلط هنا وصف رومية مع وصف القسطنطينية فنسب الى الاولى ما يخص الثانية فان باب الذهب والحائطين في القسطنطينية لاني رومية وثلاثة الجوانب على البحر لاتصح على رومية فانها بعيدة عن البحر . وسبب الاختلاط أن القسطنطينية كانت تسمى كذلك رومية الثانية . وكذلك باب الملك المذكور بعيد هذا هو في القسطنطينية لاني رومية

قل ياقوت وعرض السور الخارج ثمانية عشر ذراعا وارتفاعه اثنان وستون ذراعا وبين السورين هر ماؤه عذب يدور في جميع المدينة ويدخل دورهم مطبق بدفوف النحاس كل دقة منها ستة وأربعون ذراعا وعدد الدفوف مائتان وأربعون ألف دقة وهذا كله من نحاس وعمود النهر ثلاثة وتسعون ذراعا في عرض ثلاثة وأربعين ذراعا فكلما هم بهم عدو وأتاهم رفعت تلك الدفوف فيصير بين السورين بحر لا يرام وفيما بين أبواب الذهب الى باب الملك اثنا عشر ميلا وسوق ماد من شرقها الى غربها بأساطين النحاس مسقف بالنحاس وفوقه سوق آخر وفي الجميع التجار وبين يدي هذا السور سوق آخر على أعمدة نحاس كل عمود منها ثلاثون ذراعا وبين هذه الأعمدة تقيرة من نحاس في طول السوق من أوله الى آخره فيه لسان تجري من البحر فتجىء السفينة في هذا النقيرو فيها الأمتعة حتى يجتاز في السوق بين يدي التجار فتقف على تاجر تاجر فيتاع منها ما يريد ثم ترجع الى البحر . . وفي داخل المدينة كنيسة مبنية على اسم مار فطرس ومار فواس الخواريين وهما مدفونان فيها وطول هذه الكنيسة ألف ذراع في خمسمائة ذراع في سمك مائتي ذراع وفيها ثلاث باسليقات بقاطر نحاس وفيها أيضا كنيسة بنيت باسم اعطفانوس رأس الشهداء طولها ستمائة ذراع في عرض ثلاثمائة ذراع في سمك مائة وخمسين ذراعا وثلاث باسليقات بقاطرها وأركانها وسقف هذه الكنيسة وحيطانها وأرضها وأبوابها وكواها كلها وجميع ما فيها كأنه حجر واحد . . وفي المدينة كنائس كثيرة منها أربع وعشرون كنيسة للخاصة وفيها كنائس لانحصى للعامة وفي المدينة عشرة آلاف دير للرجال والنساء وحول سورها ثلاثون ألف عمود للرهبان وفيها اثني عشر ألف زقاق يجري في كل زقاق منها نهران واحد للشرب والآخر للحشوش

وفيه اثنا عشر ألف سوق في كل سوق قناة ماء عذب وأسواقها كلها مفروشة بالرخام
الايض منصوبة على أعمدة النحاس مطبقة بدفوف النحاس وفيها عشرون ألف سوق
بعد هذه الاسواق صغار وفيها ستمائة ألف وستون ألف حمام وليس يباع في هذه المدينة
ولا يشتري من ست ساعات من يوم السبت حتى تغرب الشمس من يوم الاحد . .
وفيه مجامع لمن يلتمس صنوف العلم من الطب والنجوم وغير ذلك يقال انها مائة وعشرون
موضعا وفيها كنيسة تسمى كنيسة الأثم الى جانبها قصر الملك وتسمى هذه الكنيسة
صهيون بصهيون بيت المقدس طولها فرسخ في فرسخ في سمك مائتي ذراع ومساحة
هيكلها ستة أجرة والمذبح الذي يقدر عليه القربان من زبرجد أخضر طوله عشرون
ذراعا في عرض عشرة أذرع بحمله عشرون تمثالا من ذهب طول كل تمثال ثلاثة أذرع
أعينها يواقيت حمر واذا قرب على هذا المذبح قربان في الاعباد لا يطفوا الا أن يصاب
ونقول . الكنائس القديمة التي ذكرها يا قوت هي موجودة الى الآن وأما طولها
وعرضها فلا يعول فيها على قوله . ويشبهه ما يليه وهو قوله ٣٠٠٠٠ عمود للرهبان يريد
الرهبان الذين كانوا يعيشون طول حياتهم فوق عمود وهم كثيرون في المشرق لافي المغرب
قال يا قوت . . وفي رومية من الثياب الفاخرة ما يليق به وفي الكنيسة ألف ومائتا
اسطوانة من المرمر الملعب ومثلها من النحاس المذهب طول كل اسطوانة خمسون ذراعا
وفي الهيكل ألف وأربعمائة وأربعون اسطوانة طول كل اسطوانة ستون ذراعا لكل
اسطوانة رجل معروف من الاساقفة وفي الكنيسة ألف ومائتا باب كبار من النحاس
الاصفر المفرغ وأربعون بابا كبارا من ذهب سوى أبواب الآبنوس والعاج وغير ذلك
وفيه ألف باسليق طول كل باسليق أربعمائة وثمانية وعشرون ذراعا في عرض أربعين
ذراعا لكل باسليق أربعمائة وأربعون عمودا من رخام مختلف ألوانه طول كل واحد
سته وثلاثون ذراعا وفيها أربعمائة قنطرة يحمل كل قنطرة عشرون عمودا من رخام
وفيه مائة ألف وثلاثون ألف سلسلة ذهب معلق في السقف بيكر ذهب تعلق فيها القناديل
سوى القناديل التي تسرج يوم الاحد وهذه القناديل تسرج يوم أعيادهم وبعض
مواسمهم وفيها الاساقفة ستمائة وثمانية عشر أسقفا ومن الكهنة والشمامسة ممن يجري
عليه الرزق من الكنيسة دون غيرهم خمسون ألفا كل مات واحد أقاموا مكانه آخر . .

وفي المدينة كنيسة الملك

وتقول . هذه كنيسة ماريو حنا الموجودة الآن وأما قوله لا يطفأ أى نور القربان
ألا يصاب قلعل فيه اشارة الى حكاية نور كان في بعض كنائس رومية لا يطفأ حتى أصابه
رام بسهم

قال ياقوت وفيها خزائنه التي فيها أواني الذهب والفضة مما قد جعل للمذبح وفيها
عشرة آلاف جرة ذهب يقال لها الميزان وعشرة آلاف خوان ذهب وعشرة آلاف
كأس وعشرة آلاف مروحة ذهب ومن المناور التي تدار حول المذبح سبعائة منارة كلها
ذهب وفيها من الصلبان اثني تخرج يوم الثمانين ثلاثون ألف صليب ذهب ومن صلبان
الحديد والنحاس المقوشة الموهبة بالذهب مالا يحصى ومن المقطوريات عشرون ألف
مقطورية وفيها ألف مقطرة من ذهب يمشون بها أمام القرايين ومن المصاحف الذهب
والفضة عشرة آلاف مصحف ولليمة وحدها سبعة آلاف حمام سوى غير ذلك من
المستغلات . . ومجلس الملك المعروف بالبلاط تكون مساحته مائة جريب وخمسين
جريباً والايوان الذي فيه مائة ذراع في خمسين ذراعاً ملبس كله ذهباً وقد مثل في هذه
الكنيسة مثال كل نبي منذ آدم عليه السلام الى عيسى بن مريم عليه السلام لا يشك
الناظر اليهم أنهم أحياء وفيها ثلاثة آلاف باب نحاس مموه بالذهب وحول مجلس الملك
مائة عمود مموه بالذهب على كل واحد منها صنم من نحاس مفرغ في يد كل صنم جرس
مكتوب عليه ذكر أمة من الأمم وجميعها طلسمات فإذا هم بغزوها ملك من الملوك
تحرك ذلك الصنم وحرك الجرس الذي في يده فيعلمون أن ملك تلك الأمة يريدهم
فيأخذون حذرهم

وتقول . هذه الحكاية الغريبة موجودة في كتب الروم واللاتين أيضاً
قال ياقوت . وحول الكنيسة حائطان من حجارة طولهما فرسخ وارتفاع كل واحد
منهما مائة ذراع وعشرون ذراعاً لهما أربعة أبواب وبين يدي الكنيسة صحن يكون
خمس أمتال في مثلها في وسطه عمود من نحاس ارتفاعه خمسون ذراعاً وهذا كله قطعة
واحدة مفرغة وفوقه تمثال طائر يقال له السوداني من ذهب على صدره نقش طلسم وفي
منقاره مثال زيتونة وفي كل واحدة من رجليه مثال ذلك فإذا كان أوان الزيتون لم يبق

طائر في الارض الا واتي وفي منقاره زيتونة وفي كل واحدة من رجليه زيتونة حتى يطرح ذلك على رأس الطلسم فزيت أهل رومية وزيتونهم من ذلك وهذا الطلسم عمله لهم بليناس صاحب الطلبات وهذا الصحن عليه أماء وحفظة من قبل الملك وأوابه مختومة فاذا امتلا وذهب أوان الزيتون اجتمع الاماء فعصروه فيعطي الملك والبطارقة ومن يجري مجراهم قسطهم من الزيت ويجعل الباقي للقناديل التي للبيع وهذه القصة أعنى قصة السوداني مشهورة قلما رأيت كتابا تذكر فيه عجائب البلاد الا وقد ذكرت فيه . . . وقد روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص انه قال من عجائب الدنيا شجرة برومية من نحاس عليها صورة سودانية في منقارها زيتونة فاذا كان أوان الزيتون صفرت فوق الشجرة فيوافي كل طائر في الارض من جنسها بثلاث زيتونات في منقاره ورجليه حتى يلقي ذلك على تلك الشجرة فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لقناديل بيعهم وأكلهم لجميع الحول

وتقول . هذا من عجائب الدنيا الماثورة عند العرب ذكرها جماعة من علماءهم كابن خرداذبه والمسعودي والقزويني والدميري وغيرهم وأصلها عندي من معبودية النصارى وذلك انه كان قدام الكنيسة التي ذكرها ياقوت جرن الفطاس أى حوض تعتمد فيه النصارى وعلى مثل هذه الاجران كانوا يصورون تمثال حمامة في فمها غصن زيتون تبعاً لما قيل في الانجيل من نزول روح القدس من السماء في صورة حمامة وقت اعماد المسيح على يد يوحنا المعمدان وداخل هذه التماثيل كلن الزيت المقدس على مقتضى دين النصارى فخيّل الى من جهل ذلك ان هذا الزيت من الطيور

قال ياقوت . . . وفي بعض كنائسهم نهر يدخل من خارج المدينة في هذا النهر من الضفادع والسلاحف والسرّاطين أمر عظيم فعلى الموضع الذي تدخل منه الكنيسة صورة صنم من حجارة وفي يده حديدة معققة كأنه يريد أن يتناول بها شيئاً من الماء فاذا انتهت اليه هذه الدواب المؤذية رجعت مضاعلة ولم يدخل الكنيسة منها شيء البتة وتقول . لعل في هذا اختلاطاً مع عجائب القسطنطينية كما سبق في ذكر الابواب والحلائطين فان فيها كنيسة الحواريين فهدمت من زمان وبنيت عليها المحمدية وهي من اكبر مساجد القسطنطينية وكان يجري تحت هذه الكنيسة نهر فيه السلاحف وعلى النهر تمثال رجل كما حكى ياقوت

قال ياقوت . . قال المؤلف جميع ما ذكرته ههنا من صفة هذه المدينة فهو من كتاب احمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه وليس في القصة شيء أصعب من كون مدينة تكون على هذه الصفة من العظم على أن ضياعها الى مسيرة أشهر لا تقوم مزدروعاتها بميرة أهلها وعلى ذلك فقد حكى جماعة عن بغداد أنها كانت من العظم والسعة وكثرة الخلق والحمامات ما يقارب هذا وإنما يشكل فيه أن القارىء لهذا لم ير مثله والله أعلم فأما أنا فهذا عندي على أنني لم أنقل جميع ما ذكر وإنما اختصرت البعض



هذا ما يقوله ياقوت في وصف مدينة رومية واكثره من الخرافات والاساطير فان الناقلين لم يكونوا من أهل البلاد وإنما هم غرباء لم يقيسوا الغائب بالشاهد والحاضر بالغائب كما قال ابن خلدون . وكل ما كتب عن مدينة أو بلد من عجائب مستحيلة خارقة للعادة فليس منشؤه قول سكانها وإنما هو أوهام ناس لم يجوسوا خلال ديارها ويتفهموا نظامها ويرووا عن الثقات من أهلها

ومما يؤيد أن أصل تلك القصص والخرافات المشرق لا المغرب أن اسم المدينة عند اليونان رومي ومنه اشتق الاسم العربي رومية . أما الرومانيون فاسم المدينة عندهم روما لارومي وهي التسمية اليونانية التي اشتقت منها التسمية العربية . وابن خلدون والشريف الادريسي يقولان روما لارومي

ويؤيد ذلك كذلك أن الكتب التي تذكر هذه القصص أول ما ألف منها في انطاكية أو في ولاياتها . والرومانيون كانوا يرسلون تجارتهم وروادهم وجيوشهم الى الشرق فتمر ذاهبة وآتية بانطاكية لأنها كانت اذ ذاك ثغرا خليلا ومحطا للسفار ومستقرا لهم فكان الرايون من اهل تلك البلاد البعيدة عن رومية يذكرون حقائق للرومانيين ثم يغلون في وصفهم حتى يأتوا بالخرافات المدهشات مما يملية عليهم خيالهم الكاذب

ومثال ذلك ماشاع في بلاد اوروبا من قصص المشرق الغربية المدهشة في الاجيال الوسطى فقد حكى في المغرب أشياء كثيرة مستحيلة عن المشرق من مثل مكة والمدينة وغيرها . ولا بد أن يكون مرجع هذه الخرافات الى بلاد بعيدة عن المشرق

جزئيات المحاضرة

آثار العرب في صقلية وفي سائر ايطاليا ، ذكر المساجد التي كانت في بلم « Paleme »
تأثير مباني العرب في هندسة المتأخرين ، السيوف والآلات العربية في خزائن ايطاليا ،
أحجار القبور « الشواهد » والآيات المسطورة عليها ، لمحة في اخبار اليونانيين ،
أصل اليونانيين وتقدم الاول المسمى ميكاني أي منسوب الى مدينة مكانه
« Mycène »



آثار العرب في ايطاليا قليلة على حين ان مباني المسلمين في صقلية كانت جليلة
عديدة . قال ابن حوقل وياقوت الحموي ان في بلم (وهي قصبة جزيرة صقلية)
ثلاثمائة مسجد ونيفاً منها مسجد الجامع الاكبر وكان بيعة للروم فاتخذها المسلمون
مسجداً . وان فيها كذلك قصورا كثيرة ولم يبق الآن من تلك الابنية الفاخرة التي
شيدتها العرب شيء غير ان في بلم او في غيرها من مدن صقلية مباني وقصورا اُتت
مهندستها مثال المباني الفاخرة التي شيدتها الامم الممدنة المعاصرة للعرب . ومن تلك
لمباني قصران جليلان اسم أحدهما بقية واسم الآخر زيزا ولعل أصله في العربية
عزيزه . فكانت مباني العرب هذه مثالا لمن خلفهم من سائر الامم فحذا الخلف في
أبنيتهم حذوها



السيوف وسائر الآلات المنقولة من الشرق الى ايطاليا ومصونة في خزائنا ومتاحنا
لأنحصى . ومن تلك الآلات النفيسة الاصطربالاب (وهو آلة فلكية لقياس ارتفاع
الكواكب)

وأما أحجار القبور أي الشواهد فهي عديدة مكتوبة بالقلم الكوفي أو بالقلم النسخي
والمسطور عليها هو المعتاد المعروف في الشواهد أي اسم الميت وتاريخ وفاته وآيات من
آيات القرآن . فمن ذلك شاهد قبر رجل مات في بلم كتب عليه : أشهد أن الجنة حق
والنار حق والصراط حق . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ؛

ثم يقول على ذلك حي وعليه توفى وعليه يبعث ان شاء الله . وعلى شواهد بعض القبور أبيات ظريفة لطيفة لم أقف عليها في كتب الأدب فمن ذلك أبيات كُتبت على شاهد قبر رجل اسمه يسين بن علي وهي من الطويل محذوف الضرب وهي على لسان الشاهد يخاطب الميت فيقول

بعدت فما في العيش بعلك طيب * وغبت عن الدنيا فلست تؤوب
مقيم الي أن يبعث الله خلقه * لقاءك لا يرجي وأنت قريب
ووجهك يبلى كل يوم وليلة * وودك لا ينسى وأنت حبيب
عليك سلام الله ما ذر شارت * وما اهتز في دوح الأراك قضيب
وأبيات أخرى على شاهد قبر آخر في بلم لامرأة اسمها ميمون بنت حسان وهي من البسيط مقطوع الضرب

انظر بعينيك هل في الارض من باق * أو دافع الموت أو للموت من راق
الموت أخرجني قسرا فيا أسني * لم ينجني منه ابوابي وأغلقي
وصرت رهنا بما قدمت من عمل * محصى علي وما خلفته باق
يا من رأى القبر أني قد بليت به * والترب غير أجناني وآماني
في مضجعي ومقامي في البلى عبر * وفي التشور اذا ماجئت خلقي
ويتان على شاهد آخر لأدرى ان كان صاحبها معروفا أم لا وهما
ياموت ما اقساك من نازل * تنزل بالمرء على رغبة
تستخرج الحسناء من خدرها * وتأخذ الواحد من أمه
ويتان على شاهد قبر في نابلي وهما

وكيف يلد العيش من هوسائر * الي جدث يبلى الثنات منازل
ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه * سريعا ويبلى جسمه ومفاصله
هذه الايات التي ذكرت موجودة في ايتاليا وخت منها كتب الادب على

ما أعلم .

والآن قد فرغنا من ذكر أدبيات علم الجغرافيا ومن ذكر آثار صقلية ومنشعر

في ذكر أدبيات علم التاريخ وتبدو بما بلغ العرب من أخبار الرومانيين واليونانيين وتقدم القول فيما ذكره من أخبار هاتين الامتين الصحيحة المحققة على الاجمال ليسهل علينا شرح ما ذكر منها في تصانيف العرب .

مساكن اليونان هي اغريقية ثم الجزائر وسواحل آسيا الصغرى وهم من الشعوب التي تسمى هند جرمان . ان من اجل اُم الارض ووفرهم غنلا هذه الامم الهند جرمانية والام السامية التي هي من نسل سام بن نوح وسبأ السكلام عليهم مفصلا . أما سبب تلتبهم بهذا اللقب الهند جرمان أن بعضهم استوطن بلاد الهند في أقصى الجنوب وبعضها آخر سكن بلاد الجرمان أي الالمان وأخوتهم في أقصى الشمال والباقيين سكنوا ما بين الطرفين فمزج الهند بالجرمان وجلا اسما واحدا هو الهند جرمان وهو يدل على هذين الطرفين وما بينهما من الامكنة المأهولة بهم .

وتتشعب الهند جرمان الى ثمانية شعوب كبار . الشعب الاول أم الهند أي البراهمة وهم أهل الم في الفلك والنجوم . واقتهم قديمة ومن كتبهم الخالدة الطائفة الصيت كتاب كلية ودمنة أخرج من الهندية الى الفارسية ثم من الفارسية الى العربية أخرجه ذلك الاخراج الاخير عبد الله بن المقفع الذي قتل بأمر المنصور . والشعب الثاني الامم الايرانية وهم المجوس والفرس وآل ساسان والمعجم كتبهم وأنتم كتبهم كتاب زرداشت في الشريعة كان موقودا ثم وجد في بلاد الهند وطبع ونقل الى لغات أوروبا . والشعب الثالث الارمانون أي الارمن ومن يشبههم . والشعب الرابع الصقالبة وهو جمع صقلب وهي كلمة معربة والصقالبة هم الروس والبغار والصرب ومن يشبههم

جزئيات المحاضرة

تمة الكلام على الامم الهند جرمانية . الجرمان . الكاني Celtes اليونان واللاتين منشأ اليونان الاصلى وتقدمهم الاول الميكاني أي منسوب الى مدينة ميكانه في اغريقية Grèce ملحمة في أخبار اليونان من أول امرهم الى محاربتهم الفرس . ليكرغوس واضع الشرائع لمدينة اسبارطة . وسولون واضع الشرائع لمدينة أثينا . انتصار اليونان على الفرس

والانقسامات التالية لهذا ملك فيلبوس والاسكندر وذكروا ما جاء من ذلك في كتب العرب

ذكرنا في المحاضرة الرابعة عشرة أربعة شعوب من أمم الهند جرمان الثمانية وسنذكر الآن أربعة الشعوب الباقية.

الشعب الخامس الجرمان أى سكان جرمانيا وهو يشمل أهل ألمانيا وإنجلترا وهولانده وسويج وزويج والدانمرك الى جزيرة اسلاند فى أقصى الشمال ومعنى اسلاند جزيرة الثلج . والشعب السادس الكلاييون ومنهم الغاليون نبوءوا بلاد فرنسا والقسم الشمالى من ايتاليا ثم دورنهم الرومان بدخلوا فى جملتهم وانقطع ذكرهم . والشعب السابع وهم ثلاثة اقسام . يونية . أولية . دورية . وأكثر القول فى نسب اليونان لغو باطل وما أحسن قول المسعودى ان اليونان اخوة الروم وغير ذلك من الاقارب . والشعب الثامن أمم ايتاليا القديمة ومنهم الرومان كما سيأتى

وهذه الامم كلها التى احتل بعضها أقصى الجنوب وبعض آخر أقصى الشمال كانت قبل أن تفرق أيدي سبا أمة واحدة واختلفت فى مسكنها الاصلى فقبل انه فى شمال اوروبا وقبل فى وسط آسيا . وأما اليونان فأوأم الاول بعد فراقهم اخوتهم من سائر الامم هو شمال اغيريقية على الاصح ثم انصرفوا من منشئهم هذا الاول وتوغوا فى البلاد الجنوبية فاستوطنوا البلدان التى ذكرنا أى اغيريقية والجزائر وساحل آسيا الصغرى . وفى أول أمرهم تعاطوا الصنائع دون العلوم فشيّدوا المباني والهياكل وكان نجاحهم فى مدنيّتهم الاولى من القرن الخامس عشر قبل الميلاد الى الثانى عشر قبله ويقال لهذه المدينة الميكانه نسبة الى مدينة ميكانه فى اغيريقية وذلك لان آثاره كثيرة فى هذه المدينة . ومن هذا الوقت انتشر اليونان فى جميع الجزائر القريبة منهم وبين آسيا واحتلوا ساحل آسيا وقد ورد ذكرهم فى بعض كتابات الفراعنة فى الاقصر .

واليونان بأقسامهم الثلاثة . يونية . أولية ادوريه كانوا يسكنون الشمال كما تقدم ثم قصدوا جهة الجنوب واستولوا على جزء من اغيريقية يسمى بلوبونسو وقصبتها مدينة اسبارطه وكان ذلك فى القرن العاشر قبل الميلاد قريبا . ثم نمت هذه الطوائف حتى نشأت منها دول مستقلة اجلها اثنا واسبارطه وغيرها

وفي القرن التاسع قبل الميلاد وضع على ما حكي ايكرغوس وهو من أعيان مدينة اسبارطه شرائعه لاهلها كما وضع سولون شرائعه لاهل اثينا في أوئل القرن السادس قبل الميلاد.

وكان اليونان الذين في سواحل آسيا الصغرى قد ألحقوا بملكة الفرس يؤدون لهم الاتاوة ثم خلعوا طاعتهم فأخضعتهم الفرس وهبوا بعد ذلك بتدويج سائر اليونان وذلك في أوئل القرن الخامس قبل الميلاد وكانت مقاتلتهم اياهم بادي الامر على عهد الملك داريوس الاول وهو عند العرب دارا الاكبر وبعثد على عهد ابنه واسمه اكسرس فكانت الهزيمة اذ ذاك على الفرس فولو الادبار وهزم اليونان جيوشهم وأفتوا أساطيلهم فصار اليونان مستقلين أحرارا فساعدتهم الحرية على ادراك الغاية القصوى من العلوم والعنائع وكانت اثينا ذات اقتدار في البحر واسبارطه قديرة في البر ثم ابلى اليونان بعثد بالفتن والانتقام (فكان ذلك أول أدلة هرم دولتهم كما قل ابن خلدون : ان أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انتقامها) فانشقت عصاهم ونخاصوا خصومات أفضت بهم الى الضعف والوهن وذلك في أيام فيليس ملك مقدونيا وهو أبو الاسكندر فدوخهم فيليس وأبدى الاسكندر وهو حديث السن مروءة وأقداما وكان سببا في انتصار أبيه ولم يزل فيليس يقمع ويقهر من استعصى عليه من أمم مملكته ويرتب أمورها حتى قتله مقدوني ذات الموت الاخر ثم ملك بعده ابنه الاسكندر وهو الملقب بالاسكندر ذي القرنين ومن علماء العرب من لا يسم بذلك ويرى انه غيره . زعم بعضهم ان ذا القرنين ملك قديم كان في زمان ابراهيم خليل الله فزعم آخرون انه ملك من ملوك حمير والأئمة كالطبري والمسعودي وغيرهما على ان الاسكندر المقدوني هو ذو القرنين فباء على ذلك نسبوا اليه الدخول في أرض الظلمات (في بلاد سيبريا في شمال آسيا) وفي عين الخلد ونسبوا اليه كذلك أمر يأجوج ومأجوج ونص على ذلك صاحب لسن العرب . واختلف في سبب تلقيه بذي القرنين . قيل لانه ملك الشرق والغرب وقيل غير ذلك . والسبب الصحيح ان الاسكندر أمر بتصوير نفسه على النقود بصورة (أمون) وهو اله من آلهته كما جرت العادة عند الفراعنة وبصورة أمون هذا ذات قرنين كقرني الكبش فلذلك سمي الاسكندر ذا القرنين .

١٦

جزئيات المحاضرة

محاربة الاسكندر بلاد فارس . القتال على نهر غرانيكوس (في اناضول) . القتال في
ابنوس (بقرب ادنه) والقتال في جوجا ميلا في ناحية اربل . موت دارا الاصغر .
محاربة الاسكندر أمم طوران وفور ملك الهند ورجوعه من غرواته . موت الاسكندر .
الحروب التي نشبت بعده بين قواده . المعركة في ابنوس (في آسيا الصغرى) . كون
أخبار الاسكندر على نوعين أى الاخبار الصحيحة والاخبار غير الصحيحة . لمحة في
تأليف حكماء العرب في فن التاريخ



بعد أن قهر الاسكندر من حوله من اليونان ممن خلع طاعته وشق العصا فردهم الى
الطاعة ولم شعئهم وأعلى كلمته عليهم عزم على المسير لمحاربة الفرس وكان ملكهم اذ ذاك
داريوس الثالث أى دارا الاصغر فأتد لهم ما استطاع من قوة وارتحل من مملكته على
طريق بوغاز الدردنيل الى آسيا الصغرى فالتقى الجمعان على نهر غرانيكوس في اناضول
قريبا من بوغاز الدردنيل وذلك في سنة ٣٣٤ ق م فأنخن الاسكندر في جيوش الفرس
وهزمهم وفرق جمعهم فجمع بعد ذلك دارا جيشا جرارا ليثأر لنفسه وتقومه من واثريه
فرحف الاسكندر اليه وقاتله شد قتال وقبرد في اسوس على ساحل البحر بالقرب من ادنه
واسكندرونه وذلك في سنة ٣٣٣ ق م وفر دارا هاربا وراء الفرات وأسرت أمه
وزوجته وأولاده وتسلط الاسكندر على فينigia وفلسطين ثم قصد مصر واستولى عليها
وبني مدينة الاسكندرية كما هو معلوم وذلك بعد سنة ٣٣٣ ق م وبعد أن فريغ
من هذا رجع الى محاربة دارا فالتقى الجحفلان في سهل يقال له جوجا ميلا قريبا من
اربل (قرب الموصل) وحمل الاسكندر على جيوش الفرس وفرقهم شذرا مذر وذلك
في سنة ٣٣١ ق م وفر دارا الى الجبال وخراسان قتلته هنالك عامل من عماله اسمه
بسوس كان يحمل حقدا على دارا فجدد الاسكندر في طلب بسوس هذا حتى بلغ ما وراء
النهر فأدركه وأسرره وقتله

ولما استقر ملك ايران للاسكندر أراد أن يقهر الامم المجاورة لبلاد فارس من شمالها

وشرقها وهي التي يزال لها طوران وقاسى في هذا الغزو من المشقات والأصايب مالا يوصف حتى تبرم اجند بالحرب وسثمها ثم رجع الاسكندر من الشمال وقصد الهند في سنة ٣٢٧ ق م وقاتل الملك فور صاحب الایمال وبعد سنتين رجع ادراجة ولم يزل يرتب أمور المملكة ويبدع نظاما جديدا في جنده الى أن وصل الى بابل قيل انه أضرب في نفسه غزو المغرب ومجارية الرومان يد أن داء أصابه لادواء له مات به في سنة ٣٢٣ ق م وعمره ٣٣ سنة : أما قول ابن خلدون وغيره انه مات في سنة ٤٠ من عمره فغير صواب واعلم من أغلاط النساخ : انتصب ملكا وعمره ٢٠ سنة فمدة ملكه ١٣ سنة ومن بعد موت الاسكندر ثبت الحرب بين قواده اذ أولع كل منهم بالرياسة والاستبداد بالملك وتمادت تلك المتارعة عشرين سنة ونيفا ثم حدثت بدتد هيجاء في ابيسوس في آسيا الصغرى انقسمت المملكة على اثرها اتقساما لاجتماع بعده وغب حوادث يطول ذكرها قسمت المملكة ثلاثة أقسام كبار فصارت مصر لبني بطليموس والشام والمشرق لبني سلوقس ومقدونيا لكاندر وثم لدمتريس

ولا ريب في أن الاسكندر من اكبر ملوك الارض وأجلهم اذ جمع بين شجاعة النفس والفهم الثقب والرأي السديد أذل رقاب الجبارة بعدا وقربا ونظم ما اجتازه أحسن تنظيم وهذا مع حداثة سنه فانه تقلد الملك وعمره ٢٠ سنة كما تقدم فتعجب أهل عصره من اقتحامه المهالك ومن مآثره المدهشة التي أكبرها الناس بعد موته وزادوا على أخباره الصحيحة أخبارا عجيبة مستحيلة غلوا منهم شائهم في كل عظيم محبوب . فلذا السبب التآليف التي وضعت في أخبار الاسكندر نوعا من نوع فيه الاخبار الصحيحة دون غيرها ونوع فيه صحيح الاخبار وسقيمها وخصوصا القصص المتعلقة بغزو الامم الشمالية من طوران ودخوله أرض الظلمات

هذا ما كان من أخبار اليونان بقاية الاختصار من اول أمرهم الى الاسكندر والى الملوك بعده وسندكر ما جاء من ذلك في تأليف العرب وتواريتهم وتقدم ذكر من اشتهر من حكماء العرب في علم التاريخ كما فعلنا في علم الجغرافيا على وجه الاختصار فتقول . ان اول مادون علماء العرب في علم التاريخ هو سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكتب المازي وأيام العرب كحرب داحس والغبراء ويوم حزازه وأيام الفجار وأخبار

الانبياء من بني اسرائيل وتاريخ مكة والمدينة ومن هذه التأليف كتاب (سيرة رسول الله) لمحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ وهو مفقود غير ان عبد الملك بن هشام المتوفى في القسطنطينية سنة ٢١٨ هـ نقل عنه سيرته المشهورة فسميت سيرة ابن هشام وهي أشهر من أن تذكر طبعت غير مرة تارة مستقلة وتارة على هوامش كتب أخرى. ومنها كتاب (المغازي) لموسى بن عقبة الاسدي المتوفى سنة ١٤١ هـ و (المغازي) لمحمد ابن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وقد نحلوا لواقدي تأليف كثيرة ليست له كفتوح الشام وفتح مصر وفوح البهنسة فان هذه الكتب صنف في أيام الصليبيين على الأرجح ثم نسبت للواقدي زورا وبهتانا.



أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

١٧

جزئيات المحاضرة

تتمة الكلام على أصحاب المغازي وأخبار العرب . محمد بن سعيد وهشام الكلبي
وعلان الشعوبي . أصحاب التواريخ المطولة . المدائني . زهير بن بكار . البلاذري . الطبري
وغيرهم . كتب سير الملوك دون أخبار الأمم . العتيبي . الكاتب الاصفهاني . بهاء الدين
الحلي . شهاب الدين أبو شامة . المقرئ . تواريخ الأمم . ابن مسكويه . القضاعي .
ابن الاثير . ابن الجوزي وغيرهم . حكماء التاريخ في القرن الثامن . شمس الدين الذهبي .
ابن كثير . وآخرون . ذكر أخبار اليونان في هذه الكتب .

* *

ويشبه كتب المغازي كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد المعروف بكتاب
الواقدي المتوفي سنة ٢٣٠ . وكتاب النسب الكبير في أخبار العرب القدماء . وكتاب
تنكيس الاصنام لهشام بن محمد الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ وقيل سنة ٢٠٦ هـ . قيل
ان ابن الكلبي ألف مائة رسالة وأربعين رسالة لم يبق منها الآن الا رسالتان أو ثلاث
رسائل . ومن علماء العرب من كذب ابن الكلبي كصاحب الأغاني فإنه نقل خبرا
عنه ثم قال هذا من أكاذيب ابن الكلبي . ومنهم من أثبت عليه كياقوت الحموي فإنه
قال فيه : والله دره مانتازع العلماء في شيء من أمور العرب الا كان قوله أقوى حجة
وهو مع ذلك مظلوم وبالفواصل مكالم :

ومن هذه التأليف كتاب (التيجان) في أخبار العرب (أي في أخبار شبه جزيرة
العرب) والانباء ألفه عبد الملك بن هشام الذي ذكرناه في المحاضرة السادسة عشرة
ومثله كتاب (حلبة المثاب) ألفه علان بن الحسن الشعوبي وعلان هذا من المتخرجين
في دار الحكمة البغدادية التي ذكرناها قبلا انضوى إلى لفيف الشعوبية وهم يدعون
أن المعجم أفضل من العرب فطن في كتابه هذا في قبائل جزيرة العرب وذمها وعابها

وقد رد على الشعوبية جماعة من العلماء منهم ابن قتيبة الدينوري في رسالته تفضيل العرب .
وقد ذكرنا قبلا تواريخ مكة والمدينة .

ولا تكاد تجد في هذه التأليف كلها شيئا من أخبار اليونان اذ لا فرصة فيها
لذكرهم اللهم الا ما جاء من تفسير ذى القرنين في سورة الكهف

ولما اتسعت مملكة العرب ونجحت عندهم العلوم التفت علماؤهم الى أخبار الخلفاء
والروم والفرس وذلك منذ أواخر القرن الثاني وأقدمهم في هذا على بن محمد المدائني
المتوفي سنة ٢٢٥ وقيل ٢١٥ هـ وهو صاحب كتاب المغازي وكتاب تاريخ الخلفاء
وكلا الكتاين مفقود . ومن هؤلاء العلماء الزبير بن بكار الفرشى ألف كتابا في نسب
قريش وأخبارهم وكتابا آخر سماه الموقيات تكريما للوفيق ابن الخليفة المتوكل بالله
وهو كتاب جليل وألف كتابا أخرى مفقودة . ومنهم أحمد بن يحيى البلاذري المتوفي
سنة ٢٧٩ هـ لقب بالبلاذري لانه شرب من عصير البلاذر وهو نبات من نباتات
الهند فجن ومات . وكان من ندماء المتوكل والمستعين بالله وله كتاب فتوح البلدان
وكتاب أنساب الأشراف ويعرف كذلك بكتاب الأخبار والأنساب . ومنهم محمد بن
يحيى الصولي المتوفي سنة ٣٣٥ هـ وله كتاب أوراق أخبار آل عباس وأشعارهم وكتاب
هذا بمصر دون غيرها من البلدان . ومن هذا الجيل كذلك حمزة الأصفهاني ألف
تاريخنا أنجزه في سنة ٣٥٠ هـ .

وأخبار اليونان في هذه الكتب قليلة الى الغاية ويستل بالموجود منها على المفقود .
أما الطبري والمسعودي وهما من اجلاء مؤرخي العرب فانهما على خلاف ذلك فقد
عقدا أبوابا في كتبهما لذكر اليونان ولطبقات ملوك الفرس وأكثر الكلام عليهم . أما
الطبري فهو محمد بن جرير المتوفي سنة ٣١٠ هـ وله من الكتب أخبار الرسل والملوك
وتهذيب الآثار . وتفسير القرآن واختلاف الفقهاء . قال ابن الأثيران كتاب أخبار
الرسل والملوك هو الكتاب المعول عليه عند الكفاة والمرجوع عند الاختلاف اليه
والمسعودي غرة المؤرخين ونجمهم الثاقب والمتأخرون لم يزدوا شيئا على أولئك الفحول
وما هو معروف ومطبوع من كتب المتأخرين يدل على ما لم يطبع فان بعض

التأخرين اقتصر على سيرة ملك من الملوك دون اخبار الامم كـ محمد العتيبي المتوفي سنة ٤٢٧ هـ فانه ألف كتابا سماه : اليميني في سيرة أمين الدولة الغزنوي : وكهاد الدين الكاتب الاصفهاني المتوفي سنة ٥٩٧ هـ فانه ألف كتابا سماه : الفتح القسي في الفتح القدسي : وكهاء الدين الحلبي المتوفي سنة ٦٣٢ هـ فانه ألف كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . وكشهاب الدين أبو شامة المتوفي مقتولا سنة ٦٦٥ هـ وهو صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين وهذه الكتب هي أخبار نور الدين وصلاح الدين وليس فيها ذكر اليونان .

ومن العلماء المتأخرين أحمد بن محمد بن مسكويه صاحب تجارب الامم المتوفي سنة ٤٢١ هـ . ومحمد بن سلامة القضاعي صاحب كتاب (الانباء بأنباء الانبياء) وتواريخ الخلفاء وله كتاب آخر اسمه عيون المعارف وفنون أخبار الخلفاء ومنهم أبو منصور الثعالبي صاحب الفرغ في سير الملوك وأخبارهم . ومنهم عز الدين بن الاثير المشهور صاحب الكامل في التواريخ المتوفي سنة ٦٤٠ هـ . ومنهم ابراهيم بن أبي اللم الحلبي صاحب التاريخ المظفر وشمس الدين سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان في تاريخ الاعيان المتوفي سنة ٦٥٤ هـ

١٨.

جزئيات المحاضرة

ذكر من اشتهر في علم التاريخ في القرن الثامن والتاسع . الأمير يبرس المنصوري . الذهبي . ابن كثير . محمد بن ذوق . ابن خلدون . أبو محمد العيني . المؤرخون من الملة النصرانية . ذكر ما يوجد في تواريخ العرب من أخبار اليونان . رواية المتأخرين في الاسكندر ومنها ذكر الخراج وذكر موت دارا الاصغر وقصة هلاي أم الاسكندر . ذكر حيل الاسكندر في حروبه . ذكر الحكم والمواعظ



المؤرخون في القرن الثامن والتاسع كثيرون ولا نذكر منهم الا الاعيان ممن يجدر بنا أن نذكرهم . منهم الأمير يبرس المنصوري وهو من مماليك السلطان المنصور قلاوون توفي يبرس هذا سنة ٦٢٥ هـ وله كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة .

ومنهم أبو الفداء المشهور وقد تقدم ذكره . ومنهم محمد شمس الدين بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وله كتاب تاريخ الاسلام وهو مطول . ومنهم محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ وله كتاب عيون التواريخ وكتاب فوات الوفيات وهو ذيل كتاب ابن خلكان المشهور . ومنهم اسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ وله كتاب البداية والنهاية . ومنهم محمد بن دقاق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ وله كتاب نزهة الأنام في تاريخ الاسلام . ومنهم عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ وهو الامام في علم التاريخ المعترف له بالفضل والتقدم وكتابه (العبر وديوان المبتدا والخبر) أشهر من أن يذكر لاسيما مقدمته التي ملأ بريد ذكرها الآفاق . ومنهم أبو محمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ وله كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان وهو مطول . ومن علماء التاريخ المشهورين من النصارى في هذه الأزمان : جرجس بن العبيد المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وله كتاب عنوانه المجموع المبارك . ومنهم بطرس بن الراهب . ومنهم ابن العبري السرياني المشهور وله كتاب مختصر الدول . هذه هي تأليف التواريخ التي اشتهرت عند العرب من القرن الثاني للهجرة الى ما بعده . وكل ما جاء في كتب المتأخرين من أخبار اليونان إنما هو منقول عن المتقدمين كالطبري والمسعودي فلا طائل في استيفاء البحث عن أقوالهم اذ المعول عليه هو قول المتقدمين .



أما أخبار اليونان القدماء كنزول الدورية وأمر أثينا واسبرطه وحروبهم مع دارا الأكبر فلا يكاد الباحث يجد أدنى ذكر منها في كتب العرب فان أول ملك لليونان انتهى خبره الى العرب هو فيليبس أبو الاسكندر . وقد تقدم أن أخبار الاسكندر على ضربين : فالضرب الاول الاخبار التي رواها من عاشره وناديه من المعاصرين له وزال عنها الشك والارتياب . والضرب الثاني يرواه المتأخرون وكل ما جاء فيه من المستغرب المستحيل هو مظنة الكذب . وهذا الضرب الثاني كثير في كتب الروم والسريان والحش والعرب . ويجب على صاحب الذوق السليم أن يقابل هذه الرواية مع تلك ويأخذ حذره من أن يصدق كل ما يقرأ .

أو يسمع والله در ابن خلدون اذ يقول : وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو رقيقا لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها :

ومن هذا القبيل ما ذكره الطبري ونقله عنه ابن الاثير وآخرون من خراج كان يحمله فيلبس أبو الاسكندر الى دارا وهو بيض من ذهب . قالوا : ولما تقلد الاسكندر الملك استعصى على دارا وأبطأ عليه بالخراج فسأله دارا اياه فأجابه اني قد ذبحت الدجاجة التي كانت تبيض هذا البيض وأكلت لحمها : فان الخراج انما كان يونان آسيا الصغرى يؤدونه الى دارا الا كبر وبين دارا الا كبر والاسكندر مائة وخمسون عاما قريبا .

ومنه ما حكاه الطبري ونقله عنه ابن الاثير من أن الاسكندر لحق دارا وهو بأخر رمقه ومسح التراب عن وجهه ووضع رأسه في حجره فخاطبه قبل أن تنقضي أنفاسه الممدودة ولاطفه وقال له ياملك الملوك وحر الاحرار أوص بما اخبت فأوصاه دارا بأن ينتقم له من الرجلين الذين قتلاه وأن يتزوج ابنته روشنك . فان دارا هرب بعيدا من الاسكندر وقتله بس كما تقدم وأدركه الاسكندر وهو جثة هامدة والجيفة لا تخاطب ولا توصى وأما تزوج الاسكندر بروشنك واسمها الاصلى روكسانه فصحيح غير ان روشنك هذه ليست بنت دارا وانما هي بنت أمير من أمراء السغد .

ومن اغرب ما حكى أن دارا الاكبر تزوج أم الاسكندر واسمها هلاي ولما حملت اليه كره تن ريجها وسهكها فعالجها الاطباء بماء شجرة يقال لها بالفارسية سندرو ولم ينجع فيها هذا الماء فجاءا فردها دارا الى اهلها وقد حملت منه ولدا فولدته وسمى ذلك الولد هلاي سندرو ثم عرب الاسم وقيل الاسكندر . وهذا حديث خرافة فان دارا الاكبر مات سنة ٤٨٥ قبل الميلاد وولد الاسكندر سنة ٣٥٦ ق م اي بعد موت دارا بمقدار ١٣٠ سنة قريبا فكيف يكون هذا . وأما اسم الاسكندر فهو يوناني قديم ومعناه دافع العدو ثم عرب فصار الاسكندر ليتيسر النطق به بالحروف الاصلية المتأخرة وليس السندرو منه في شيء .



وذكرت للاسكندر حيل في الوقائع مستحيلة لا ذكرى لها البتة في كتب من عاصره وشاهد حروبه . منها انه في قتاله فور ملك الهند اتخذ فيلة من نحاس وضع في بطونها النفط والكبريت وأشعل النار فيها يوم الواقعة فضربت افيال فور بخراطيمها تلك الفيلة النحاسية فاحترقت وولت الادبار وانهزم جيش فور وولى لايلوى آخره على أوله . وكل هذا من الاساطير والهذيان كما لا يخفى . ويقاس عليه ما يشابهه مما لا أصل له ولا حقيقة .



وكان الاسكندر تلميذ ارسطوطاليس ولهذا نسبت اليه أقوال وحكم هي لفلاسفة الذين بعدهم . من هذا ما حكاه المسعودي ونقله عنه ابن الاثير وغيره من حكماء اشتهروا بعد موت الاسكندر كانوا يطوفون بتابوته ويتكلم عند ذلك كل واحد منهم بكلام من الحكم والمواعظ وهي ثلاثون حكمة منها هذه : يامن ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها : واستفاضت هذه الحكم ومثلها على ألسنة الناس .

١٩

جزئيات المحاضرة :

ما ذكره ابن خلدون من تاريخ اليونان . تصحيقات كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون . أخبار حكماء اليونان في كتب العرب . أساطين الحكمة من اليونان . فرقة المشائين من طلاب الحكمة .



ما ذكر في المحاضرة الثامنة عشرة هو الذي ورد في الطبرى والمسعودي وابن الاثير وجماعة من المتأخرين . وأما ابن خلدون فقد ذكر في العبر وديوان المبتدأ والخبر أسماء وحوادث لم يذكرها غيره من مؤرخي العرب نقلها عن هورسيوس وهو من علماء القرن الخامس بعد الميلاد وعن جرجيس بن المسكين وقال في أمر الخراج الذي يؤديه اليونان الى دارا ته عدد من كرات الذهب أمثال البيض ضريبة معلومة على اليونان : ولا يستغرب هذا فان النقود المضروبة قليلة نادرة في ذلك الزمان والذهب كان يوزن بميزان

وذكر كذلك ملوكا كانوا قبل فيليس كما مته غير ان الخط الذي أخذ عنه الطبع ناقص وفي أمكنة منه خلال لياض في الاصل وتصحيف لا يدخل تحت حصر . ومن ذلك اسم أم الاسكندر فانه في كتابه لينباده والصواب النيباده واسم بطلميوس ايفانس والصواب ايفانس واسم ملك قرطاجنه (قرب تونس) اشدريال والصواب اشدريال وسلفيوس اوسلفنوس والصواب سلفيوس . وكذلك أسماء أخر ذكرت مضبوطة في صفحة ومغلطة في أخرى كقوله في بطلميوس الثاني أن لقبه فيلادلفس وهو في غاية الضبط وسماه قبيل هذا قلايتيس وكذلك بطلميوس الثالث المنسئ بالصانع اى صانع الصنائع فانه في الطبع بطلميوس الصائع . وهذا مما يغوى القارىء ويغالطه .

وظاهر كلام ابن خلدون ان امتصاص الفرس انما هو لسبب انتزاع الاسكندر بيت المقدس منهم فلذلك قاتل دارا الاسكندر فغلب دارا مرة ثم اخرى في طرسوس ثم تراحف مع الاسكندر وهزم وقتل . والصواب ان الاسكندر لم يستول على بيت المقدس الا بعد نصرته الثانية في اسوس قريبا من طرسوس ومن بعدها وملك فلسطين وبيت المقدس وأسس الاسكندرية وهي أول مدينة بناها الاسكندر وأكبرها وأجلها



وأخبار حكماء اليونان وفلاسفتهم الى عهد الاسكندر كثيرة في كتب العرب ككتاب الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ . وكتاب تاريخ الحكماء لابن القفطي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ وابن القفطي هذا أحسن الى ياقوت ومساعدته وسهل عليه تأليف كتبه . وتاريخ الحكماء الاصلى مقتود والذي يتداوله الناس الآن هو مختصر اختصره الزوزني بعد موت المصنف بمائة سنة قريبا . وكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٨ هـ . ويشبه هذه التأليف كتاب الفصل لعلى بن حزم الظاهري القرطبي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ . وكتاب الملل والنحل لشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ .



ومن مشهورى حكماء اليونان عند العرب الحكماء الخمسة المعروفون بأساطين الحكمة (الذي سماهم هذا التسمية هم العرب انفسهم لأهل أوروبا) وهم فيثاغورس بروج

في القرن السادس قبل الميلاد وأخباره غير أكيدة . وأنبد قليس وكان في القرن الخامس قبل الميلاد وكلاهما من اليونان القاطنين في جنوب إيطاليا . وزعم الشيرستاني وتبعه أبو الفداء وغيره ان أنبد قليس كان في أيام داوود النبي ديثاغورس كان في أيام سليمان ابنه وهذا غلط والصواب ما قلناه . ويوم قولهم ان أنبد قليس من فيثاغورس والصواب عكسه . والثالث من أساطين الحكمة سقراط مات مسموما سنة ٤٠٠ أو ٣٩٩ ق م أي قبل الإسلام بألف سنة تقريبا . وتماطى سقراط التفحص عن النفس الانسانية وقواها وتهذيب أخلاقها وكان رجلا غنيا زكيا لكن ماحكي من اعتزاله واقامته في غار معرضا عن ملاذ الدنيا قليس بمتحقق وقال بعضهم وتقله كذلك ابن خلدون انه يعرف بسقراط اللن لسكناه في دن من الخرف . والصواب أن الذي كان يسكن اللن انما هو ذوجانس لاسقراط . والرابع من أساطين الحكمة أفلاطون المتوفى سنة ٣٤٧ ق م وكان تلميذ سقراط وعنه أخذ لاعن فيثاغورس كما زعم بعضهم والخامس من الاساطين ارسطوطاليس وهو منقطع القرنين وسيد حكماء اليونان غير مدافع وضع كتباً عديدة في جميع العلوم الفلسفية

ومن مؤرخي العرب من جعل أساطين الحكمة سبعة زاد على المذكورين ثلاثة وهم تاليس وانكساغورس وانكسيانس ولم يعد منهم ارسطوطاليس

وزعم القفطي في موضع من كتابه ان أفلاطون كان يعلم الطالبين الحكمة وهو ماش فسمى الناس فرقته المشائين وقال في موضع آخر ان فرقة ارسطوطاليس هي المسماة فرقة المشائين والثاني هو الصحيح لا الاول .

٢٠٠

جزئيات المحاضرة

ورثة مملكة الاسكندر بطلميوس سلوقيس «سلفيوس» Seleucus كساندرودمطرس . أخبار الرومان . سكان إيطاليا القدماء أي اللاتين وأخوتهم الغاليون أو الكلتيون الأطرسك Etrusques اليونان والفينيقيون الذين في جنوب إيطاليا . بناء مدينة رومية . روملس وأخوه رميس . الأشراف والعوام . الملوك السبعة التي طردوهم وتأسيس الجمهورية .

قال الطبرى وتبعه جماعة انه لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس فأبى واختار العبادة وهذا ليس بكيد فان الاسكندر لم يمت عن ولد صغير أو كبير وورث ملكه قواده كما تقدم . ولم يذكر الطبرى ولا غيره من ورثة الاسكندر الا البطالسة والصحيح ما قلناه آتفا من انقسام المملكة الى ثلاثة أقسام كبار أحدها مصر وفلسطين أصابه بطلميوس الاول نصيبا له وكان بطلميوس هذا يسمى لاغس ومعناه في اليونانية الارنب فلذلك سماه المسعودي بطلميوس بن الارنب ثم آل الملك لابنه بطلميوس الثانى والبطالسة بعده الى أن انتظمت مملكته مع مملكة الرومانيين وذكر حكماء العرب اسماء البطالسة .

وأما ملوك الجزئين الآخرين كسلوقيس وكساندر فلم يذكر مؤرخو العرب من اخبارهم الا شيئا يسيرا للغاية

والخلاصة ان الذى وصل خبره العرب من امور اليونان هو فى الاغلب اخبار الاسكندر والبطالسة غير انه تابع فى معظمها رواية المتأخرين لارواية المتقدمين المدققين المعاصرين للاسكندر وعلى هذا المنوال كثير من كتب الروم والسريان والحش



هذا ما كان من أمر اليونان وأخبارهم عند العرب . وأما الرومان فهم طائفة من أم ايتاليا الهند جرمانية اى اللاتين واخوتهم كما تقدم كان مشواهم الاول مع اليونان فى الشمال وهذا فى الزمان القديم الذى يصدق عليه قول الشاعر

زمن الفطحل اذ السلام رطاب

ثم نزل اليونان الى افرىقية واللاتين واخوتهم كالمسيين الى ايتاليا واستوطنوا معظم البلاد المتوسطة منها وفى شمالى ايتاليا أى فى الناحية التى يقال لها الآن لومبارديا وفى غيرها كان قديما مسكن الغالين وهم الكلتيون وقد تقدم انهم من الهند جرمانية كذلك وفى بعض النواحي المتوسطة من ايتاليا كان مشوى طائفة أخرى تسمى الاطرسك ومنهم اشتق اسم توسكانا وهو الآن من أجل كور ايتاليا واختلف فى كنه جنسهم ومن العلماء من عدتهم من الالام الهند جرمانية ومنهم من لايسلم بذلك والمسألة ذات خلاف وجدال ولا محل هنا لاستيفائها . وأما جنوب ايتاليا وصقليا فاجتلبها قوم من

اليونان والفينيقيين من مدينة قرطاجنة وهم البونيون غير ان اليونان والبونيين اجتازوا البحر الى هذه البلاد ثم استوطنوها وكثروا فيها لاسيما اليونان . وقد ذكر ان فيثاغورس وانبدقليس وهما من مشهوري الحكماء من اولئك اليونان القاطنين في جنوب ايطاليا وفي دقليا وفي وسط ايطاليا كان اللاتين ومنهم روملس الذي بني مدينة رومية على نهر يسي تيره فان دأب من بني المدن في الزمن القديم أن يبنيا على الأنهار أو قريبا منها وذلك لاحتياجهم الى الماء العذب لأماحة الانعام (لسقايتها) وكان اسم النهر القديم رومون وقيل بل هو اسم اله هذا النهر حسب توهمهم ان لكل مكان الها يسكنه ويحميه ومنه اشتق اسم المدينة كما سميت رومية باسم النهر . وكان لروملس أخ اسمه ريمس قتلته واستبد بالملك وحارب السين ثم صالحهم ورتب أمور المملكة وقسم الناس الى قسمين عامة وخاصة وهم الاشراف ومنهم انتخب المشيخة (مجلس الشيوخ) . وكانت للاشراف حقوق وامتيازات ليست للعامة وأفضى ذلك بهم الى تشاجر وتنازع كما سبب آتى . ثم غاب عنهم روملس بغتة والذي شاع وقتئذ واستفاض انه ارتفع الى السماء وهذا بالازمار أشبه منه بالصحة

٢١

جزئيات المحاضرة

قول المسعودي في روملس . الملوك الستة بعد روملس . طرد الملوك وابتداء الجمهورية . اقامة اتقنصلين . تنازع العوام مع الاشراف وانصراف العوام من المدينة . مثل المعدة والاعضاء . محاربة الرومان سائر اللطين والاطرسك . غزو الغالين رومية في سنة ٣٨٧ . استيلاء الرومان على ناحية كامبانيا في جنوب رومية . الحروب مع السمنيت .



ذكرنا في المحاضرة الاخيرة اخبار روملس . ثم نقول ان الطبرى أهمل اخبار روملس وأول من ذكره من ملوك الرومان هو طياربوس لاغيره فسطر المسعودي هذه الاخبار ونقلها عنه ابن الاثير . ويقول المسعودي
أول من يعد ممن ملك في رومية غايوس قيصر وقد كان ملك فيها قبله ملوك أولهم روملس وأرمانوس المروفان بابني الذئبة . اهـ

وأصل هذه التسمية من حكاية شائعة ذائعة عند القدماء وهي انه لما ولد روملس وأخوه ريمس أضمر جدهما أن يهلكهما خوفاً منهما على نفسه ومملكته فأمر بوضعهما في تابوت واغراقهما في نهر وكان اذ ذاك فيضان فلما رجع النهر الى مجراه رما التابوت تحت شجرة فسمع راع هناك صراخا وأسرع الى الناحية التي منها يصدر استهلال الطفلين فرأى أمرا عجيبا مدهشا وهو أن ذئبة ترضعهما فاتخذها ابنين له ورباهما ولهذا السبب صارت الذئبة والطفلان شعار رومية (ولذلك قال المسعودي المروقيان بابني الذئبة) .

ثم تناوب اللاتين والسيين على الملك وكان روملس من اللاتين والملك الثاني كان من السيين والثالث من اللاتين والرابع من السيين . اما الخامس فمن الاطرسك وكذلك السابع فيعلم من هذا أن الاطرسك كانوا قد تغلبوا على مدينة رومية .

وقد قيل ان الملك السادس من العبيد وهذا الملك أبدع ترتيبا جديدا وقسم الشعب خمسة اقسام اعتمادا على قدر الجباية المضروبة على كل واحد منها . وجعل الاشراف والاغنياء اصحاب الامر والنهي دون العوام .

وكان الملك السابع طاغيا ظالما حتى سمي سوبردومس اي المتعجرف فطرده الرومان اشرافهم وعوامهم وأخرجوه من المدينة وأمنوها بأسه فأصبحت الحكومة في أيدي المشيخة (مجلس النواب) وفي أيدي حاكين يقال لهما القنصلان وهما مكلفان بانفاذ الاحكام . وما كانت رئاسة القنصل الا لمدة سنة ثم ينتخب من يخلفه احتريزا بذلك مما كانوا قد قاسوه من جور الملوك الطغاة .

هذا ما استفاض من امر الملوك السبعة . وروى فيهم المؤرخون من الرومان حكايات غريبة لا يقبلها صاحب الذوق السليم الا بارتياح . وهذا شأن الاخبار القديمة وهي كما قيل قد نبت عليها العشب ونسج عليها العنكبوت

وفي اول الحكومة الجمهورية كانت المشيخة والقنصلان من الاشراف دون غيرهم وكانت لهم غصارة العيش والدرجات الرفيعة وللعوام نكد العيش والدرجات الوضيعة فتنازع القرىقان وقالت العوام وهم يحاورون الاشراف اتنا ننصب ابدانا في تقويم معاشكم غير ان لكم السلطة والجلالة ولنا الدناءة والسفالة وآمروا على الاعتزال ولسان حالهم يقول :

وما بعض الإقامة في الديار * يهان بها القتي الا بلاء

فتركوا المدينة وانطلقوا الى جبل قريب منها امتناعا من خدمة الاشراف فقصدتهم
القنصل وحكى لهم مشلا مشهورا وهو مثل المعدة والاعضاء ولا ترى بأنا من ذكره
هنا قال القنصل .

تمردت الاعضاء يوما على المعدة وقالت نحن دائما في عناء وكد والمعدة تستع
بتعبنا وهي في فراغ وبطالة . ثم قالت الرجل لأجل بعد في السوق لا يتباع القوت
وقالت اليد سأبطل طبخ الاطعمة وانضاجها . وقالت الاسنان سنترك عليك المأككل
ومضغها . وكذلك سائر الاعضاء ولم يفض بهم ذلك الا الى ضعف وأصبحت الرجل
واهية واليد عاجزة والاسنان ضعيفة والعين قائرة والجسم كله واهنا وأحست الاعضاء
بان انتفاع المعدة بها يكافي انتفاعها بالمعدة . قيل ان العوام لما سمعوا هذا المثل فهموا
مغزاه ورجعوا الى المدينة وأباح لهم الاشراف نصب حاكم منهم يدافع عنهم وسمى
هذا الحاكم تريونوس .

وفي أثناء ذلك قاتل الرومان الامم المجاورة لهم وكانت الحرب سجالا ثم أضحت
النصرة للرومان فاتسعت مملكتهم وفي سنة ٣٨٧ ق م كان غزو الغالين لرومية وصلوا
الى المدينة وخربوها وأتلفوها ثم دفع اليهم الرومان مقدارا من ذهب فانصرفوا الى
بلادهم . ولم يزل بعد ذلك الرومان يحاربون الامم المجاورة لهم وكانت بين أمم اللاتين
كلها عهد وحلف وكانت لرومية ارياسة عليهم ثم تخاصموا على الرياسة وأخضعهم
الرومان واشتغلوا بالسلطة . ولما اتسعت مملكتهم واستدت تخطوا الى نواحي كيبانيا
وهي من أطيب نواحي ايتاليا ترى وأغزرها فواكه وأوفرها خصبا وكان استيلاء
الرومان على كيبانيا في سنة ٣٣٨ ق م وكانت رومية تزيد بلا انقطاع وتوسع كورها .
وفي شرقي كيبانيا كانت أمة ذات شجاعة ومروءة يقال لها سميت أصبحت
مجاورة للرومان بعد استيلائهم على كيبانيا وتصالح الرومان والسميت بادية الامر ثم لم
يلبثوا أن تنازعوا فاقعدت نار الحرب بينهم ولم تخمد مدة ٣٦ سنة وأثنى كل منهما في
عدوه بالقتل والسبي وانتصر آخر الامر الرومان وأوردوا السميت موارد لا صبر لها
وأضيفت مملكتهم الى مملكة الروم

٢٢

جزئيات المحاضرة

محاربة الرومانين مدينة تارتو ويروس ملك اير. ذكر البونيين وهم فرع من الفينيقيين ومدينتهم قرطاجنة وسلطتهم على نواحي افريقية وعلى جزائر البحر المتوسط. الحروب البونية الاولى والثانية. انيال قائد البونيين. وشييون قائد الرومانين الحروب مع فيلبس الخامس ملك مقدونية والحروب مع انليخس من آل سلوقوس (سلقيوس) الحرب البونية الثالثة واتقراض مملكة قرطاجنة.



وبعد استيلاء الرومان على بلاد السميت أصبحت مملكتهم متاخمة لمدن اليونان القاطنين في جنوب ايطاليا فتشبت حروب بين الرومان وبين مدينة تارتو، واشتهر في هذه الايام يروس وهو ملك ناحية من اغريقية يقال لها اير كان على الهمة يفاخر الاسكندر ويباريه حتى أراد أن يسود المغرب كما ساد الاسكندر المشرق وياه استعان أهل تارتو في مطاردة الرومان فأجابهم يروس الى ذلك وجمع جيشا جرابا وأرسل في تارتو وكان قد ساق معه عشرين فيلا أعدها للقتال وهدي أول مرة رأي الرومان الافال ففرعوا باديء الامر وولوا الادبار ثم سكن روعهم بعد ذلك وتشجعوا وقاتلوا يروس خمس سنين حتى انصرف مخزى الى بلاده فانسعت مملكة روميه باضافة هذه النواحي اليها في سنة ٢٧١ ق م.

وقد سبق ان للرومان أعداء في الشمال وهم الاطرسك والغاليون فتجالت هذه الامم وتأمرت على التخلص من سلطة روميه فأخضعهم الرومان وأبادوا الغاليين وأفنوم وذلك في سنة ٢٨٥ ق م وأراد الاطرسك أن يأخذوا بثأرهم وما كانت عاقبتهم خيرا وامتدت سلطة الرومان على معظم شعوب ايطاليا كلها واليهم حل أمورهم وعقدوها وأضحت مملكتهم مصاوبة لمملكة البونيين وهم من الفينيقيين.

ان الفينيقيين من أشهر الامم القديمة وكان يسكنهم في سواحل الشام ومن مدتهم صور وصيدا وغنكا ولما منعهم الجبال (أى جبال لبنان) توسيع مملكتهم في البر ركبوا البحر وتماطروا التجارة وابتشروا في الجزائر والبلاده القريبة والبعيدة وكانوا في الزمان

القديم مثل الانجليز في أيامنا هذه وكانت لغتهم تشبه لغة اليهود والعرب ، ومن المدن التي أنشأها الفينيقيون مدينة قرطاجنة (١) فعمرت وامتدت المملكة وأصبح أهلها البونيون في القرن الخامس قبل الميلاد مسطرين على شعوب افريقية الساكنة في تلك النواحي وعلى مدن بحرية كثيرة من صقلية وسردانيا وكريسيكا وأندلس

وكانت مملكة رومية في هذا القرن لم تمتد بعد الى الضفة البحر الملح ولم تكن لها أساطيل ثم اتسعت بعد ذلك قليلا قليلا كما فسرناها ولما استولت على سواحل إيطاليا الجنوبية ومدنها البحرية لم يلبث أن تخاصم الرومان مع البونيين وهاجت بينهم الحروب المسماة البونية أو القرطاجنية وتمادت الاولى من هذه الحروب من سنة ٢٦٤ الى سنة ٢٤١ ق م وتقاتل الفريقان في هذه المدة الطويلة في البر والبحر وكانت العاقبة انتصار الرومان وانكسار البونيين واستولى الرومان على صقلية الا جزأ منها ثم على سردانيا وكريسيكا وحقت الدماء بالصلح ولم يدم هذا الصلح الا ٢٣ سنة وفي أسناء هذه المدة انتصر الرومان على الغالين وعلى طائفة الالير (٢) وفي سنة ٢١٨ ق م كان ابتداء الحرب البونية الثانية وكان قائد البونيين أي أهل قرطاجنة أنيبل (٣) من أشهر قواد العالم اجتاز البحر بمجيش جرار الى الاندلس ثم مر بالاندلس وبجنوب فرنسا الى جبال الالب وهي شاذة وعرة يعلو قممها الثلج مدار السنة فقطعها أنيبل بتعب وعناء ثم التقى مع جيوش الرومان

(١) قرطاجنة بفتح الجيم وتشديد النون المفتوحة . هكذا ضبطه ابن حوقل وياقوت وابن خلدون وآخرون . ومن علماء عصرنا من يكتبه قرطاجنة بغير ألف وبغير تشديد ومنهم من يكتبه قرطاجنة بغير نون تبعاً للغة الفرنسية . ومدينة قرطاجنة في افريقية خربت أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وعمرت تونس من خرابها ومن أحجارها واسم قرطاجنة الاصلى مسطور على تقودهم القديمة الموجودة الى الآن وهو (قرت جندسه) ومعناه المدينة الحديثة ويقارب لفظه (القرية الحديثة)

(٢) الالير امة على ساحل البحر الادرياتيكي في خضاء إيطاليا

(٣) أنيبل بهمزة مفتوحة ونون مشددة مكسورة وياء ساكنة وباء ومعناه منة يمل (وامل اله من آلهتهم) . وضحف اسم أنيبل في طبع ابن خلدون فكتب أنيبل بالباء قبل الباء .

مرات كثيرة ووالى عليهم الهزائم ومن أعظم وقائعه معهم وقية (كنه) في سنة ٢١٦ ق م قتل فيها من الرومانيين سبعون ألف رجل ولم يقنطروا ويفشلوا بل جمعوا جيوشاً جديدة وتمادت الحرب ثانية ثم اختير قائد للرومان اسمه شيبون وهو جدير أن يقاتل أنيبل ويفاخره فانه بعد أن تغلب على الاندلس وانتزعها من أيدي البونيين عبر البحر الى قرطاجنة فاضطر أنيبل الى الرجوع من ايطاليا ليدفع شيبون عن قرطاجنة بلاده ويحميها منه والتقت القتتان وكان الظفر للرومان وذلك في سنة ٢٠٢ ق م ثم جنحوا للسلم واضمحت مملكة البونيين وارتفع الرومان الى ذرى المجد واستولوا على الاندلس وعلى جزائر البحر الابيض المتوسط وأضحى المغرب كله في طاعتهم فخان لهم من وقتئذ الالتفات الى المشرق

٢٣

جزئيات المحاضرة

التجاء أنيبل الى انطيوخس ملك الشام وذكر موته ومناقبه. الحرب مع فيلبس الخامس ملك مقدونيا ومع انطيوخس المواليه. الحرب اليونانية الثالثة وخراب قرطاجنة اقراض استقلال مقدونية. الحرب الداخلية. حرب ماريوس وسيلا. الحرب مع ملك نوميديا (الجزائر) . الحروب مع متردات ملك بنطش. الحرب بين ققيوش (أوبيوش) وقيصر. القتال في فرسالو. قتل ققيوش قتل قيصر. الحروب بين اكتيات وأنطونيوس اقراض الجمهورية وابتداء الملوك (الامبراطرة)



أما أنيبل فقد نجا من الاسر وقت افتتاح قرطاجنة والتهجأ الى انطيوخس ملك الشام وحضه على محاربة الرومان ومات أنيبل سنة ١٨٣ قبل الميلاد ولا ريب في أنه كان من أكبر قادة الأجيال الحالية وإن تدبرنا سياسته أيقنا أنها في غاية الاتقان فانه لما كان قد أيقن من شجاعة الرومان ومولتهم أراد الاحتراز فاستغاث بأعداء رومية كافة وشد ازره بهم فاستد ساعده وقاطع البر الى شمال ايطاليا ليتخذ مع الغالين ثم الى الجنوب ليتحالف مع سكان هذه النواحي الذين قبلوا سلطة رومية عنوة وليسهل انجحاد ملك مقدونيا أياه وهو عندئذ للرومان تحتفظ واسترز وشهد الرأي ودبر الأمور

أحسن تدبير غير أنه كما يقال في المثل : الانسان يدبر والله يقدر :

قد تقدم أن مملكة الاسكندر انقسمت الى ثلاثة أقسام كبار أحدها مملكة مقدونيا وكان ملكها في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد فيلبس الخامس حاربه الرومان وهزموه سنة ١٩٧ ق م ثم حاربوا انطيوخس الموما اليه آنفا وغلبوه في سنة ١٩٠ ق م ثم بعد ٢٠ سنة تقريبا هاجت الحرب من جديد بين الرومان وبين ملك مقدونيا وانكسرت جيوش ملك مقدونيا في معركة عظيمة وتداعت حينئذ مملكته وولى ملكه .

وابتدا الرومان يتزعجون لانفسهم ماملكه الاسكندر من البلاد الشرقية وفي سنة ١٤٩ ق م حمي وطيس الحرب بين الرومان واليونين مدة ثلاث سنين وهذه هي الحرب البونية الثالثة وهدمت مدينة قرطاجنة (قرب تونس) وحولت مملكة اليونين الى ولاية من ولايات رومية وفي هذه الايام صارت مقدونيا كذلك عملا من أعمال رومية . وبعد هذه المآثر والمفاخر الباهرة حدث للرومان ما قد ذكرناه من قول ابن خلدون : ان أول ما يبدو من هرم الامم هو الانقسام : وابتليت دولة الرومان بالفتن والحروب مع حلفائها من طوائف ايتاليا وبمحاربة بعض أهلها بعضا

ومن ذلك القتال بين ماريوس وهو متعصب للعوام وبين سيلا وهو متعصب للاشراف ووقع في هذه الحروب من سفك الدماء والنهب والفواحش مالا يعد ولا يحصى . ومات ماريوس سنة ٨٦ ق م ومات سيلا سنة ٧٨ ق م .

وفي أيام هذه الفتن الداخلية استعرت في المغرب وفي المشرق نار حروب منها حرب في نوميديا أي في المغرب ببلاد الجزائر ووضعت الحرب أوزارها سنة ١٠٥ ق م وكانت النصره فيها للرومان . ومنها رالحوب مع متردات ملك بنطس على البحر الاسود ويكثر ذكره بهذا الاسم في كتب العرب وربما وقع فيه نصحيف فقيل بحر نيطس . فتجده في مقدمة ابن خلدون المطبوعة في موضع منها بحر نيطس وفي آخر بحر بنطس ومثله فيها طرايزيده والصواب طرايزنده . وملك متردات مدة ستين سنة ثم قهره الرومان وأضحت مملكته عملا من أعمال رومية سنة ٦٣ ق م على يد قنفيوس ويسميه ابن خلدون

(فبفيوس) وهو قائد الرومان وقال ابن خلدون متردات ملك الارمن والصواب انه كان حليفاً لملك الارمن لاملكا لهم .

ومن سنة ٥٨ الى سنة ٤٩ ق م حارب يوليوس قيصر الغالين في فرنسا واستولى على بلادهم ووصل الى بريطانيا وكان فبفيوس قد تعاهد مع يوليوس قيصر ثم هاجب الحرب بينهما واقتتلا في فرسالو أشد قتال وفر فبفيوس هارباً حتى بلغ مصر مستغيثاً ببطليموس الرابع عشر وكان كما يقال في المثل . كالمستجير من الرمضاء بالنار . اذ أمر بطليموس بقتله خيانة وذلك في سنة ٤٨ ق م ثم رجع يوليوس قيصر الى رومية مظفراً منصوراً وشعر المتعصبون للجمهورية انه يروم الاستبداد بالملك قتلوه ختلاً ولم تزل بعد ذلك الحروب الداخلية تتأجج نارها أياماً ثم اقتتل اكتيان (هكذا ضبطه ابن خلدون) وانطونيوس وهو الذي تبه حب كيو بتره ملكة مصر وتزوج بها وكانت النصره لاكتيان على انطونيوس وقلوبطره وكالابتره (هكذا ضبطه المسعودي وابن الاثير) وتلك النصره كانت في ٣١ ق م فأصبح اكتيان سيد روميه ورجع أمرها اليه لالاي القناصل وذلك في سنة ٢٧ ق م وأطفاً نار الحروب وطمس معالم القن

٢٤

جزئيات المحاضرة

ذكر ماجاء في تأليف العرب من اخبار الجمهورية الرومانية وقول ابن خلدون في ملك نوبه . غايوس يوليوس قيصر . اغسطس أول الملوك وطياريوس ثانيهم . الطبقات الثلاث . الاولى هي الملوك في زمان عبادة الاوثان . والثانية في الملوك المنتصرة . والثالثة في الملوك المنتصرة بعد الهجرة . اخبار الطبقة الاولى والثانية عند العرب وأصلها .



ان في تاريخ الرومان لعبرة لمن اعتبر اذ ترى أمة قليلة لم تزل تجتهد في توسيع سلطاتها مدة سبعمائة سنة ونيف حتي تغلبت على معظم العالم . ولا نذكر من أخبارها وحروبها الا أجلها وأذكرها في غاية الاختصار تمهيداً لما جاء في تأليف العرب من أخبار القياصرة فان استقصاء تاريخ الرومان بعيد من مقاصد محاضراتنا .

قد سبق أن مؤرخي العرب الأقدمين كالدائني وزير بن بكار وابن السكلي

وغيرهم لم يتعرضوا لذكر شيء من أخبار الرومان وأول من ذكرها منهم هو الطبري واقصر على ذكر طياريوس والملوك الذين بعده الى الملك هرقل واقصر على مدة سلطتهم وقد أدخل ذكرهم عن شيء من الحوادث التي كانت في أيامهم (هكذا قال فيه ابن الاثير وهو يعجب من اهمال الطبري اياها)

وأما المسعودي فقد سطرها في مروج الذهب وفي التنبية والاشراف وعنه نقلها ابن الاثير. بيد أن الحروب العظيمة واتساع المملكة وانكسار أعدائها كالبونيين والمقدونيين وكل ما ذكرناه من أخبار رومية في زمان الجمهورية لا يثر على ذكره في كتب العرب الا كتاب ابن خلدون فإنه ذكر روملس وأخاه ريمس وأمر الجمهورية وعقد فصلا لذكر فتنة قرطاجنة ثم قال انه دارت الحرب بين أهل رومية وملك النوبة واستظهر ملك النوبة بالبريريد الحرب في نوميديا أي في الجزائر التي ذكرناها وليت النوبة من الجزائر في شيء ولا تناسب بربر نوميديا برابرة النوبة فإن بربر المغرب قبائل لا تحصى وبلادهم واسعة عريضة . وأهل النوبة ممدوحون حتى جاء في حديث رواه ياقوت : من لم يكن له أخ فليخذ أخا من النوبة : وبربر المغرب مذمومون محقرون حتى قال الشاعر

رأيت آدم في نومي قهلت له أبا البرية ان الناس قد حكموا

ان البرابر نسل منك قال أنا (١) حواء طائفة ان كان ما زعموا

ولعل في الطبع تصحيحاً فكتب ابن خلدون نوميديا لا النوبة

وتقسيم الملوك الشائع عند العرب يشمل ثلاث طبقات الطبقة الاولى هم الصابثون أي عدة الاوثان من أول ملوكهم الى قسطنطين . والطبقة الثانية هم الملوك المنتصرة من قسطنطين . والطبقة الثالثة هم الملوك المنتصرة بعد الهجرة . ويطلق اسم الروم عند العرب على الطبقات الثلاث . والاصح أن يقال للملوك الطبقة الاولى وبعض ملوك الطبقة الثانية ملوك الرومان . قال المسعودي وتبعه ابن الاثير وآخرون ان أول ملك يعدونه في التاريخ الروماني هو غايوس قيصر والثاني يوليوس . وإنما يوليوس اسم ثان لغايوس قيصر فان للرومان ثلاثة أسماء وأكثر فغايوس قيصر ويوليوس شخص واحد لا شخصان

وأما قول المسعودي بعيد هذا ان اغسطس أول ملوك الرومان فأقرب الى الصواب

(١) قال الامتاز أنا هنا للتعجب والتقدير نسلي أنا فكأنه يتعجب من نسبة البرابرة اليه

ومعنى اغسطس الجليل وفسره المسعودي بالضياء وهو قريب من المعنى الحقيقي . وقول ابن الاثير ثم ملك اغسطس ومعناه الصبا تصحيف ضياء .

والملك الثاني طياريوس وملك بعده ملوك ذكر أسماءهم علماء العرب وكثرت تصحيفات في الخطوط . وذكر المسعودي وآخرون حوادث شتى كانت في أيام هذه الملوك . منها شأن المسيح في أيام طياريوس وقتل اصطفانوس رئيس الشمامسة عند النصارى وصلب بطرس وبواص في مدينة رومية منكسين وافتتاح البيت المقدس على يد تيتس الذي ملك من سنة ٦٩ الى سنة ٧١ بعد الميلاد اذ شمل القتل والاذى اليهود ثم اضراب البيت المقدس اضرابا ثانيا في أيام داققوس وهلم جرا .

والبين ان هذه الاخبار كلها تتعلق بدين النصارى واليهود ومطرها المسعودي وابن الاثير وغيرهما وأهملوا أخبار الحروب العظيمة وتركوا الانباء بامور السياسة . فكفى بذلك دليلا على أن حكايات المسعودي منقولة عن الكتب التي وضعها النصارى من الروم والسريان ولم يعتبروا فيها الا ما يختص بالملة المسيحية واليهودية وبسير الشهداء وأهملوا أمر الحروب وافتتاح البلدان مع أن كل ذلك كثير في أيام القياصرة فانهم بلغوا من الفتوح ومن توسيع المملكة ما لم تبلغ آمال أهل الجمهورية وهمهم

٢٥

جزئيات المحاضرة

سبب اهل علماء العرب أخبار حروب الرومان وفتوحهم في أيام ملوكهم . غزوة غالوس على جزيرة العرب ورجوعه عنها بالخيبة . امتداد مملكة الرومان في القرن الثاني بعد الميلاد . انحطاط امور الرومان وهبوطهم وانقسام المملكة الى قسمين المملكة الشرقية والمملكة الغربية . انقراض المملكة الغربية واستيلاء البربر على رومية .



ومن حروب الرومان في أيام القياصرة التي أهملها علماء العرب غزو غالوس جزيرة العرب . كان غالوس عاملا لاغسطس في مصر فاجتاز البحر الاحمر وأرمى بساحل الحجاز وسار في البر وكابد من العناء والتعب مالا يوصف اذ ضلله وحيره الهداة خيانة منهم ووصل الى مدينة نجران ثم زحف الى مدينة مأرب المشهورة وكلاهما في بلاد اليمن

وحاصر ماربأ ثم تسر أمرها عليه فأقلع عن الحصار ورجع الى مصر بالخفية ولم يعد الرومان من ذلك الوقت الى غزو جزيرة العرب .

وكان امتداد مملكة الرومان ونجاح أمورهم خصوصا من سنة ٩٦ الى سنة ١٨٠ ب م وهذه البرهة من الزمان يقال لها السعيدة . وفي أيام الملك طربانس كانت المملكة على أوسع امتداد حتى صارت من أعمال رومية بلاد رومانيا وبعض بلاد النمسا وبعض القسم الجنوبي من روسيا ثم النواحي التي بين جنوب فلسطين والحجاز وبعض الحجاز وبلاد الارمن والجزيرة أي ما بين النهرين (دجلة والفرات) . ولا يوازي هذا الامتداد الا ملك الاسكندر وملك العرب في أول خلافة بني العباس في زمن المنصور ثم الرشيد . ولا غرو أن تكون هذه الاخبار الجليلة مهمة في كتب الروم والسريان التي في تاريخ الملة المسيحية واليهودية لأنها موضوعة للاخبار الدينية لا الدنيوية بخلاف كتب الرومان وقد يرد ذكر حرب أو حربين في ابن خلدون نقلا عن هروسيوس وكان من مؤرخي اللاتين

وبعد البرهة السعيدة أي بعد سنة ١٨٠ ب م ماتت أمور الرومان الى الانحطاط والهبوط وابتدأ قواد الجنود أن ينتزعوا السلطة لانفسهم فأصبح التدبير والولاية في أيديهم وقد اعترض دولة الرومان ما اعترض بعض خلفاء بني العباس كالمستنصر والمستعين والمعتز وغيرهم . وقد قيل في بعضهم هذه الايات المعروفة

خليفة في قفص . بين وصيف وبغا * يقول ما قالا له ، كما تقول البيضا

كذلك كان ملوك الرومان في ذلك الزمان اسم الملك لهم والعمل لغيرهم ويشبه هذا ما اتفق لطور نشاء بن الصالح بن أيوب في مصر قتله المماليك وهم حرسه السلطان كذلك قواد رومية كانوا حرسه السلطان فاتصروا لانفسهم .

وبمثل هذا ابتليت دولة الرومان حتى صار أمرهم فوضى لسيادة جهالهم كما قال الأفوه الأودي من شعراء الجاهلية

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم . ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وكان ذلك الى أن انتهى الملك الى دقلطيانوس والى قسطنطين . وقسطنطين هو أول ملوك الطبقة الثانية أي الملوك المتصهرة قبل الهجرة وأخبار هذه الطبقة الثانية عند

علماء العرب تشبه اخبار الطبقة الاولى أغنى أن جميعها أو أكثرها في الامور الدينية لا الدنيوية . وأصل هذه يشبه أصل تلك أى أن كليهما من كتب النصارى المعقودة لا اخبار الملة المسيحية . وهذه الكتب على ضربين ضرب في تاريخ الجوادث سنة فسنة على الاجمال أو على التفصيل . وضرب في قصة من قصص الشهداء والقديسين لافي التاريخ كله . وفي أيام قسطنطين انقسمت المملكة الى قسمين أي المملكة الغربية وقصبتها رومية والمملكة الشرقية وقصبتها القسطنطينية . وفي القرن الخامس بعد الميلاد أغارت الامم البربرية الساكنة في شمال اوروبا وآسيا مثل الوندال والقوط والفرنك على المملكة الغربية وعلى مدينة رومية وتغلب بعضهم عليها وأثخنوا في أهلها بالقتل والسبي وصح على رومية ما قيل في الاسكندر عند موته : فأصبح أمر الاسراء أسيرا : وتغلب الوندال على جزيرة الاندلس وبهم سميت الاندلس . واستولى الفرنك (الفرنج) على فرنسا وبهم سميت فرنسا .

وكان انقراض المملكة الغربية في سنة ٤٧٦ ب م وكان آخر ملوكهم روملس اغسطس (تصغير اغسطس) جمع في لقبه بين اسم الملك الاول الباقي لرومية أى روملس وبين اسم الملك الاول بعد الجمهورية أى اغسطس (١)

قد قلنا قبل هذا ان اخبار المسمودى وغيره منقولة من كتب دينية للنصارى وان بعض هذه الكتب يحتوى على قصص الشهداء والقديسين دون تاريخ سائر الجوادث . ومن هذا القبيل قصة أصحاب الكهف وهي مشهورة في المشرق وفي المغرب وكان أول ماسطر من هذه القصة عند السريان في الجيل السادس بعد الميلاد أى قبل ظهور الاسلام بمائة سنة تقريبا . ومن كتب السريان انتشرت في الروم والقبط والارمن وسائر الامم وأخرجت الى لغاتهم ونص القصة عند السريان .

ان داقيس تتبع النصارى بالقتل أشد تتبع (وهذا متحقق صحيح) وملك داقيس من سنة ٢٤٩ ب م الى سنة ٢٥١ ب م ومر في بعض حروبه بمدينة افسس وأمر أهلها أن يسجدوا للاصنام فأبى عليه ذلك سبعة فتية فلاطفهم وتعلق لهم وقتل لهم سأمهلكم الى رجوعى من الحرب وخرج من المدينة لغزوته وخاف الفتية من هذا الجبار وآووا

(١) قال الاستاذ وهذا غريب . ابتداء ملك الرومان بروملس وانسع هذا الملك

باغسطس وانقرض بروملس اغسطس

الى غار في جبل وقدوا ولما رجع داقيس سأل عنهم فخير بهرو بهم الى الجبل ممتعين من عبادة الاصنام فأمر أن يردم باب الكهف عليهم ليموتوا جوعا ورأى ذلك بعض من حضر هناك من المؤمنين بالمسيح وكتب خبرهم في لوح من نحاس وجعل اللوح عند الباب من داخله ثم مات داقيس ومن بعده من ملوك الطبقة الاولى وتقلد قسطنطينس الملك وتنصر وتوالى الملوك الى الملك تادسيوس وكان مدة ملكه من سنة ٣٧٩ الى سنة ٣٩٥ ب م

٢٦

جزئيات المحاضرة

تمة قصة أصحاب الكهف قصة أيملك تلميذ أرمياء النبي . أصل هذه القصص . ذكر اللغات الحامية أى البربرى والمصرى القديم والحديث واللغات الكوشية أى بجة وسوهو ودقلى وآغو وغالا وصومالى



ذكرنا الملك تادسيوس وهو تادسيوس الاكبر ومن سنة ٤٠٨ الى سنة ٤٥٠ ملك تادسيوس الاصغر الثانى وفي أيامه ألقى الله في نفس رجل من أهل البلد الذى فيه جبل الكهف أن يبنى حظيرة لغنمه وهدم بالعناية الربانية الحجارة السادة لباب الكهف فدخلت أشعة الشمس فيه واستيقظ الفتية بأمر الله وهم لا يرون في ألوانهم ووجوههم شيئا ينكرونه فخيّل اليهم أنهم لم يناموا الا ليلة واحدة وكان أحدهم اسمه يملينا (١) وهو صاحب نفقاتهم ونزل الى المدينة في الثياب التى كان يتنكر فيها (خوفامن داقيس) ليشتري طعاما وهو متخوف من داقيس ظنا منه أن يطالبه ولما وصل الى باب المدينة رفع بصره فرأى فوقه علامة دين النصارى أى الصليب فتعجب من ذلك وسمع الناس يحلفون باسم المسيح ورأى المدينة قد تغيرت فازداد تعجبا وتحيرا وقال فى نفسه رأى أن أشتري طعاما وأبادر بالرجوع الى أصحابى في الكهف وطلب خبزا ودفع للخباز منسكوكات وهى بنقش داقيس الملك المتوفى قبل مائتى سنة تقريبا فتأملها الخباز ولم يشك في أن

(١) قال الاستاذ . يملينا اسم مستعمل عند السريان واليونان ومثله كثير عند

العرب مثل يملك . والسريان تبدل الكاف خاء فالعرب تقول يملك والسريان تقول يملخ

الفتى أصاب كنزا من كنوز القدماء الثمينة وقال له أرني مكان الكنز ولا تخفه مني والآن انطلقت بك الى رئيس المدينة فلى الفتى رعبا وقال له هذى النقود أخذتها بالامس من بيت أبي ولم أجدها في كنز البتة . وجعلا يتشاكسان ويتنازعان حتى اجتمع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وانطلقوا يميلحوا الى رئيس المدينة واستقفا وقص يميلحنا عليهما قصته فصعدوا بأجمعهم الى الكهف في الجبل فرأوا الفتية وأيقنوا من أن هذا العجب العجيب هو آية من آيات الله الذي يحيى ويميت ونام بعدئذ الفتية وقضوا نحبهم ولاقواربهم فبني الناس بيعة في هذا المكان

هذا هو نص القصة السريانية الاصلية باختصار . ومن السريان شاعت واستفاضت ثم زيد فيها في بعض الكتب ونقص منها في أخرى

وهناك قصة تشبه قصة أهل الكهف موجودة في بعض كتب اليهود من الجيل الاول بعد الميلاد في التوراة بل بعدها . وهذه القصة تناسب الآية في سورة البقرة : أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير :

ولابأس من ذكر هذه القصة على الاجمال وهي : ان أرميا النبي كان له تلميذ حبشى يخدمه اسمه أيملك ولما أوشك أن يتسلط بمختصر على بيت المقدس أرسله أرميا ليقطف تينا للفقراء الجياع فاقطفها وعند رجوعه رأى شجرة جثيلة وكان اليوم قائظا محتدا فجلس في ظل هذه الشجرة وضرب الله على أذنيه فنام مستين سنة وفي أثناء ذلك سلب الله بمختصر على بيت المقدس فأمن في القتل والاسر في بني اسرائيل وسبى منهم خلقا كثيرا حمله الى بابل وتبعه ارميا هناك واستيقظ أيملك بعد ستين سنة بأمر الله ونظر الى التين وهو طري رطب بقدرة الله تعالى . وكان ذلك في أول فصل الربيع ولم يكن من أوان التين في شيء . فقال ايملك رأسي مصدوع من قلة النوم ولولا أرميا الذي يترقبني لمت قليلا ثم قام وأخذ قفة التين ولما وصل الى المدينة لم يعرفها وأنكر كل ما رأى منها فمسح عينيه وحار في أمره . ثم رأى شيخا اجدوب من الكبر فسأله ما اسم

مدينتكم هذه فقال اورشليم (اى القدس) قال ايملك وأين أرميا النبي فتفرس فيه الشيخ وقال له يا أحق تسأل عن أرميا وله ستون سنة في بابل مع سبي اليهود وأجابه أيملك قائلا : كيف ذلك وقد أرسلني أرميا في صبح يومنا هذا لاجتماع بعض التين : وأراه التين طريا في غير أوانه فتبصر الشيخ وعرف أن هذه آية من آيات الله فكتب باروك الى أرميا النبي وكان من تلا ميته رسالة على لسان ايملك وقص فيها عليه قصته العجيبة المدهشة. والغرض من مثل هذه القصص أن يبرهن على أن القيامة تحقق وأن الله يبعث الاموات وينشرها فانه على كل شيء قدير. واتفق في ذلك اعتقاد اليهود والنصارى مع اعتقاد أهل الاسلام الى هنا تمت القصة وبهذا فرغنا من التاريخ والاخبار ومنبتدى في أدب اللغات ان شاء الله فنقول

قد تقدم القول في الامم الهند جرمانية الممتدة من الهند الى أقصى شمال اوروبا وتابعه الآن بالقول على اللغات السامية وتقدم فصلا في ذكر اللغات الحامية على طريقة الاجمال تنقسم اللغات الحامية ثلاثة أقسام الاول لسان البربر والثاني اللسان المصري والثالث الألسنة الكوشية . والبربر قبائل لا تحصى في شمال افريقيه من بركة (بلد من أشهر بلدان طرابلس) الى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش (المغرب الأقصى) الى البحر المحيط والى سنغال ومنهم كذلك واحة سيوا في غربي مصر . وقد سبق ذكر البربر وما لبهم وما قيل فيهم وسماهم ياقوت أجنى خلق الله . والعدد الجم منهم في الجزائر ومراكش . وبين لغاتهم واللغات السامية اختلاف في أمور واختلف في أخرى والكلمات الدخيلة فيها كثيرة وأكثرها من العربية لاسيما ما يتعلق بالصنائع وأصحابها كبناء ونجار وهلم جرا . وهذا دليل على ان الصنائع ما كانت من اختراعهم ومن حذقهم وانما أخذوها عن العرب وتعلموها منهم . ولا نعرف من تأليف في هذا اللسان أى لسان البربر الا حكايات وأمثالا جمعها علماء عصرنا وقد ترجم بعض البربر في سنة ١٢٧ هـ القرآن الى لغتهم وأخرجت كذلك كتب الحديث والفقه من العربي الى البربر في أيام الموحدين المتسلطين على المغرب والاندلس من سنة ٥٢٤ هـ الى سنة ٦٦٧ هـ وكره منهم ذلك النقل القاتون ذروا الغيرة على الدين فأفنوا كتبهم هذه وأبادوها ولم يحلوا لهم درس الحديث والفقه بغير اللغة العربية

أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

﴿ ٢٧ ﴾

—*—*—*—*—

(جزئيات المحاضرة)

ثمة القول في اللغات الحامية أي المصري القديم والحديث واللغات الكوشية اللغات السامية وأقسامها الكبار وهي لغة بابل واشور. لغة كنعان دارم لغات العرب والحبش وفروع لغة كنعان أي العبراني والفينيقي

* *

وأما اللسان المصري فالقديم منه هو المتكلم به في أيام الفراعنة والحديث يقال له القبطي . وأصل هذا اللفظ من اللغة اليونانية فإنه فيها (اجبتس) والنسبة إليه (جبتوس) وعرب اجبتوس فصار قبطياً . والاختلاف بين اللسان المصري القديم وبين اللغات السامية كالعبراني والعربي أقل من الاختلاف بين هذه اللغات السامية والبربر حتي ذهب قوم ممن لم دراية كاملة بهذه المسائل الى أن اللسان المصري يشبه اللغات السامية ويوافق حالها القديمة

وأما المصري الحديث أي القبطي فهو متولد من القديم وهي لغة القبط من القرن الاول تقريباً الى القرن السادس عشر بعد الميلاد وبعض الكلمات العربية أصله من القبطي كالتمساح مثلاً فان أصله من القبطي وكلا ردب وكلاواحه . بخلاف البربر فان فيه كلمات عربية وليس في العربية كلمات منه .

والكتب التي وضعها القبط كثيرة جليلة وأول ما نبعده مسطوراً باللغة القبطية بعض سطور وكلمات مكتوبة على ورق البردي وهي من القرن الثاني بعد الميلاد وقليلة وفي أواخر القرن الثالث تقريباً نقلت كتب النصارى المقدسة كالانجيل والتوراة

من اليوناني الى القبطي وكذلك أكثر الكتب القبطية منقول من اليونانية ومدارها فيما يخص الامور الدينية والصلوات والخطب وأخبار الشهداء وما يشبه ذلك. والديونى قليل ومنه أخبار الاسكندرو هي أجزاء قليلة من تاريخه .

وأما اللسان الكوشي وهو القسم الثالث من اللغات الحامية فيشتمل على عدة لغات منها لغة بجة في جنوب التوبة . وسوهو وهي لغة القبائل التي في جنوب مصوع على البحر الاحمر تحت حكم دولة ايتاليا . ثم دتلى ويقال له عفر والجمع دناقل والدناقل سكناهم على ساحل البحر الاحمر والتواحي القريبة منه من جنوب مصوع الى باب المندب والبحر الهندي . ثم لغة آغو أو آجو والاول أصبح والآغو من أقدم قاطني بلاد الحبش وتشبه لغاتهم لغة الفلشا والفلشا اسم أمة قديمة على دين اليهودية . ومن الامم الكوشية النالا أو الجالا وهم اوسع الكوشيين عددا يقال انهم تسعة آلاف ألف رجل أو أكثر وكانوا يقطنون جنوب بلاد الحبش ثم خرجوا من بلادهم ودخلوا بلاد الحبش في اوائل القرن العاشر للهجرة وهم يدينون بعبادة الاوثان وكلت الههم الاكبر يسمى وك ومعناه السماء ثم اسلم بعضهم ولم يتنصر منهم الا القليل . ومن الامم الكوشية الصومال وسكناهم من باب المندب وخليج عدن الى الجنوب وهم الفا ألف رجل حدسا (تخميناً) . هذه هي اهل الامم الكوشية أي بجة . وسوهو ودتلى وآغو . والنالا . والصومال :

ولا نكاد نرى من الامم الكوشية من يميل الى التأديب ويمجنح الى التعلم وليست لهم حروف هجاء فلا يقرؤن ولا يكتبون . ومن احتاج منهم الى تحرير مكتوب حرره بالعربي وبأحرف عربية (نعوذ بالله من عريبتهم ومن قلمهم)

والامم الحامية مجاورة للساميين والارجح أن هناك تناسباً بين لغاتهم واللغات السامية ولاجل ذلك قدمنا فصلاً في ذكرهم .

وأما الساميون فانماؤهم الى سام بن نوح كما هو معروف وهم على قسمين أكبرين أي الشرقي والغربي ولكل منهما أنواع وفروع سيأتي ذكرها . والقسم الشرقي يشمل لغة أهل بابل ولغة أهل أثور أي آشور وكانت السلطة قبلاً لأهل بابل

ومملكتهم من أقدم ممالك العالم وقصبتهم بابل وهي مدينة مشهورة على الفرات وذكر علماء العرب حكايات غريبة تخص هذا البلد منها . أن فيه سبعة مدن في كل مدينة اعجوبة ليست في الاخرى ومثل هذه الحكايات اليبعة عن المعهود كثير في أخبار الامم القديمة كما تقدم .

ثم استظهر أهل آشور على بابل من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى أواخر القرن السابع وكانت قصبتهم نينوى على دجلة قريباً من الموصل ثم قوي الكلدانيون (سكان بابل) وظفروا بمدينة نينوى وأخربوها وذلك في سنة ٦٠٦ ق م وآل الملك الى بابل مرة ثانية

ومن ملوك الطبقة الثانية بختنصر الذي استولى على بيت المقدس وسبي أمة اليهود الى بابل وكان الملك لهم (أي للكلدانيين) الى أن تغلب عليهم الفرس ولاهل بابل وأشور خط غريب يخالف قلم سائر الامم السامية

٢٨

(جزئيات المحاضرة)

الكتابة الاثرية وكيفيتها ، اللغات السامية الغربية وقسمها الشمالي والجنوبي ، حروف الهجاء الاصلية والتعابير اللاحقة لهذه الحروف في المشرق وفي المغرب ،،، قسمنا في المحاضرة السابعة والعشرين أهل اللغات السامية الى قسمين أكبرين شرقي وهم أهل آشور وغربي وسيأتي تفصيله أما أهل القسم الشرقي وهم أهل بابل وأشور فان لهم خطاً عجيباً يخالف خطوط

حدث خطأ في المحاضرة الثامنة عشر من الادبيات في صفحة ٤٦ في السطر المباشر

خطاً

صواب

جرجس

جرجيس المكين

وفي السطر الحادي عشر

بطرس الراهب

بطرس بن الراهب

سائر الأمم السامية وكانوا في أول أمرهم إذا أرادوا رقم اسم شيء من الأشياء صوروا صورة ذلك الشيء من غير أحرف فأنهم ما كانوا يعرفونها . ومن ذلك تولدت مع الزمان علامات تستعمل كالحروف غير أن كل علامة من علاماتهم إذ ذاك كانت تشمل الحرف وحركة من حركاته ومع هذه العلامات الهجائية لم تزل العلامات التصويرية مألوفة مستعملة والعلامة الواحدة تدل على معناها الهجائي وعلى معناها التصويري وعلى القاري أن يميز بين الأمرين

هذا ما يخص الكتابة الأثرية وأما لغتهم فلا شك في أنها قريبة من سائر اللغات السامية في الأفعال والأسماء والحروف فأنهم يقولون مثلاً للأذن أذن (يتسكين الذال) وللعين عينو وللسماء سماؤ وهذه أسماء الأعداد عندهم تكاد تقرب من أسمائها العربية كذلك وهي (١) ايد (٢) شناء (٣) شلاش (٤) أربا (٥) خمس (٦) شيش (٧) سب (٨) ثمان (٩) تيش

وأما القسم الثاني من قسمي اللغات السامية الأكبر وهو الغربي فهو إما شمالي وإما جنوبي فاما الشمالي منها فينقسم الى قسمين كبيرين أحدهما الكنعاني ويشمل العبراني والفينيقي وغيرها . والآخر الآرامي ويشمل لغات عديدة سيأتي تفصيلها وأما الجنوبي فهو نوعان النوع الاول العربية المعبودة أي لغة القبائل التي سكنت النواحي الشمالية من جزيرة العرب والنوع الثاني عربية القبائل الجنوبية كسبأ وحمر ويشبه هذا النوع لغة الحبشة القديمة

والنوع الاول أي العربية المعبودة (أي لغة قبائل شمال الجزيرة) جنوبي بالنسبة الى القسم الشمالي الكبير من اللغات السامية الغربية أي الكنعاني والفينيقي . وشمالي بالنسبة الى النوع الثاني من نوعي اللغات الجنوبية أي قبائل سبأ وحمر والحبش وقد يسمى النوع الاول لسان العرب المستعربة وقد يسمى النوع الثاني لسان العرب العاربة . وقد عدلنا عن التسمية المتعلقة بالنسب الى التسمية الجغرافية أعني المتعلقة بالأصقاع شمالية أو جنوبية لأنها أقرب الى الصحة فان القبائل قد تغير لغاتها وتدخل في لغة لم تكن أصلية لها ومثال ذلك قبيلة طيء المشهورة التي هي من بني

قحطان ثم استعربت فصارت لغاتهم توافق لغة مضر إلا بقايا يسيرة كذو بمعنى الذي أي ذو الطائفة

وأما لغة الحبش فتشبه لغة سبأ وحير لان بعض القبائل الجنوبية عبرت البحر واستوطنت بلاد الحبش وتغلبت على سكان البلاد وهم أمة آغوز الكوشية التي تقدم ذكرها فان ساحل اليمن قريب من بلاد الحبش ولذلك تشابهت لغاتهم هذه هي تقاسيم اللغات السامية الغربية وتكتب جميعها بأحرف الهجاء فليست مثل لغة أثور التي تكتب بالصور. ولأحرف هذه اللغات صور كثيرة تختلف باختلاف اللغات غير أن مرجعها كلها الى أصل واحد أي الى الصورة الفينيقية

وكانت الصورة الفينيقية مستعملة عند العبرانيين كذلك ومن هذه الاحرف الفينيقية القديمة اشتقت أحرف اليونان والرومان وسائر أمم أوروبا فأصل الحروف كلها من الاحرف الفينيقية

ولا غرو أن تكون بداية الكتابة من الفينيقين فانهم تعاطوا التجارة ولم يشتغلوا الا بها ولم يملأوا المدن البحرية في المشرق والمغرب كما تقدم القول ولا بد لأصحاب التجارة من المكاتب والمراسلة مع شركائهم في الأصقاع الشاسعة كما لا يخفى فاضطر الفينيقيون الى استعمال أحرف الهجاء والى الانتفاع بها فانتشرت بانتشارهم في المشرق والمغرب وأخذ عنهم الآرميون أحرف الهجاء وغيروا رسم صورها قليلا واستعاضوا القلم الآرمي في الشام ونواحيها واتخذوا هذه الاحرف العبرانيون المتأخرون وألفوا منها القلم المستعمل الى الآن في كتب اليهود ومنه كذلك قلم النبط وقلم العرب القديم

ولا سبيل الى استقصاء البحث عن هذه المسائل وانما تقتصر على لمحة منها باعتبار بعض الحروف وتغيير صورها ونمثلة لذلك بحرف العين كانت صورتها القديمة عند الفينيقين كما ترى في شكل (١) على شبه عين الانسان والحيوان واسمها مشتق من صورتها ثم استعارها الآرميون وغيروها قليلا بقطع أعلاها فصارت هكذا شكل (١) ثم أخذها الانباط وصارت عندهم هكذا ثم دخلت اللغة العربية فصارت ع ومن خصائص بعض الاحرف في القلم النبطي وغيره ان تسطر متصلة مع ما قبلها أو مع

ما بعدها وذلك لتسهيل الكتابة وللإسراع فيها . فبناء على ذلك نتصل العين مع ما قبلها فتصير نـ فإذا التغيرات اللاحقة لهذا الحرف كثيرة

(١)	ع	o	u	ع
(٢)	س	w		ع
(٣)	م	u	u	ع
(٤)	ن	h	l	ج
(٥)	ق	q	p	م
(٦)	ب	g	y	ج
(٧)	ر	q	yy	ج
(٨)	هـ	h	h	هـ
		القديمة	القديمة	القديمة

﴿ ٢٩ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

التغير اللاحق لبعض حروف الهجاء أي للسين والميم والهاء والباء والراء والهاء ، ذكر لغة العبرانيين القديمة ولحمة في أخبارهم وأخبار لغتهم قبل العبودية في بابل وبعدها

ومثل العين حرف السين أو الشين كانت صورتها الأولى هكذا شكل (٢) وسميت رشن لشبهها بالاسنان وغيرها قليلاً الأوريون لتسهيل الكتابة فصارت هكذا S ثم أخذها الانباط فصارت عندهم هكذا شكل (٢) ثم أخذها العرب فصارت س والنتيجة أن السين العربية توافق حرف الأفرنكي S في النطق

ومثل ذلك حرف الميم أصله هكذا شكل (٣) عند الفينيقيين والبرانيين ومنه صورة إم عند اليونان والرومان أخذوها وغيروها ليزيد حسنيتها فصارت هكذا M ولا يتجاوز الحرف من فوق ومن تحت دعتهم الى ذلك رغبتهم في حسن موافقة الاجزاء وأخذ الميم الارميون واختصروها هكذا شكل (٣) وعند الانباط اخوتهم هكذا شكل (٣) ثم عند العرب هكذا م

وأما النون فصورتها الاصلية هكذا شكل (٤) واتخذها اليونان والرومان فصارت عندهم هكذا N وعند الارميين هكذا شكل (٤) ثم صار عند الانباط هكذا شكل (٤) ومنهم أخذ العرب حرفهم ن وفي القرن الاول من الهجرة كانت تستعمل كذلك ر ويوجد في الصحف بالكتبخانة كتابة الرحمن هكذا الرحر

وسمى نونا لشبهه السمك والميم لشبهه الماء ومن هذا القبيل أيضاً حرف القاف وصورتها الاصلية هكذا شكل (٥) ثم غيرت لتسهيل الكتابة فصارت شكل (٥) وعند النبط صارت هكذا شكل (٥) وعند العرب ق. ثم في القرن الثاني حذساً وضعت بنقطة من فوق ثم أخرى . فيجوز أن نقول ان القلم الارمي تسهيل الكتابة والقلم العربي تسهيل التسهيل . وحرف الباء كانت صورته الاصلية شكل (٦) وكانت الكتابة الاصلية عند قدماء اليونان من اليمين الى الشمال ثم لم يصلوا آخر السطر ويكتبون من الشمال الى اليمين

وهذه الصورة اختصرها الارميون على دأبهم فصارت شكل (٦) وعند الانباط هكذا شكل (٦) وعند العرب فتشبه النون

وحرف الراء قديماً هكذا شكل (٧) يشبه الراء لكنه أطول وعند البرانيين والارميين شكل (٧) ثم الانباط شكل (٧) اختصروها فصارت ر ثم العرب ر وحرف الهاء كانت صورته الاصلية شكل (٨) ثم تميزت عند الارميين والبرانيين المتأخرين فصارت شكل (٨) ثم أخذها العرب والانباط فرسموها هكذا شكل (٨)

ونعود الآن الى أنواع القسم الشمالي من الساميين ونبتدىء بالعبراني ونقول ان أمة العبرانيين قديمة جليلة لها صيت وشهرة في العالم كله وكان من انتقالهم الى مصر وخروجهم منها وقيادة موسى لهم ما هو معروف ولا طائل في اعادته هنا وكان الأمر والنهي برهة من الزمان لرؤساء يقال لهم القضاة أي الحكم ثم ملك شاول في سنة ١٠٣٠ ق م وشاول هو الذي يقال له عند العرب طالوت ومات شاول سنة ١٠١٠ ق م تقريباً ثم ملك بعده داود الى سنة ٩٧٠ ق م وخلفه سليمان ابنه الى سنة ٩٣٣ ق م تقريباً وأخبار سليمان مثل أخبار الاسكندر بن فيلبس أي انها على ضربين أحدهما الاخبار الصحيحة المتحققة . والآخر الاخبار المستغربة الخارقة للعادة وهي كثيرة في كتب السريان والعرب وانقسمت بعد موته المملكة الى مملكتين : المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية وهذا في سنة ٩٣٣ ق م في سنة موت سليمان وكان زوال المملكة الشمالية في سنة ٧٢٢ ق م تغلب عليها ملك آشور وسي أهلها وكان زوال المملكة الجنوبية أي مملكة يهوداء في سنة ٥٨٦ ق م على يد بختنصر ملك الكلدانيين الذي افتتح القدس وأخربها وهدم بيت الله الذي بناه سليمان وأوقع باهل المدينة وأجلاهم الى بابل وهذا هو ائبلاء أي عبودية اليهود في بابل . وكان بختنصر ملك الكلدانيين من ملوك الطبقة الثانية

﴿ ٣٠ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

سياق الكلام في أخبار اليهود وتاريخ هذه الاخبار، لغة اليهود واختلافها باختلاف الأزمنة والبلاد، ذكر من كان من شعراء اليهود في جزيرة العرب كالسموئل بن عبدياء وشرح بن عمران وغيرها

وفي سنة ٥٣٩ تغلب ملك الفرس واسمه كيروس على الكلدانيين وافتتح مدينة بابل وأعتق اليهود فرجع منهم من رجع الى فلسطين وعمر بيت الله عمارته الثانية ولم

نزل اليهود تحت طاعة الفرس الى أن انتصر الاسكندر على دارا الاصغر في اسوس سنة ٣٣٣ كما سبق القول وصار الاسكندر ملك فلسطين وخلفه في ملكها من ورث مملكته وخصوصاً ملوك الشام من آل اتيخوس وأحدهم اسمه اتيخوس ايفانس وهو عات غشوم ملك من سنة ١٧٤ الى سنة ١٦٤ وجافى اليهود على دينهم لامتناعهم من السجود للأصنام فعصى عليه اليهود وتخلصوا من جورهم وطغيانه ثم دخلوا تحت حكم الرومان وزالت دولتهم وانقرضت مدينتهم على يد تيتوس ملك الرومان في سنة ٧٠ بعد الميلاد وكان اليهود قد أجلوا قبل ذلك الى مصر والى سائر النواحي وبعد خراب مدينتهم تفرقوا أيدي سبا وتشتتوا في البلاد القرية والبعيدة وكان لسان العبرانيين من أول أمرهم الى الجلاء في بابل والى رجوع من رجع منهم الى القدس اللسان العبراني لا غير ثم شاعت عندهم اللغة الارمية ولم يزل يزداد استعمالها عندهم حتى صارت هي لغة اليهود المأثوسة في زمن يسوع (أي عيسى) الا ما يختص بفرائض الدين والصلوات فان لغة الصلوات عند اليهود هي العبرانية الى يومنا هذا واسم عيسى الاصلي عند النصارى هو يسوع أو يشوع وصار عند العرب عيسى ليوافق اسم موسى وهذا كثير في لغاتهم كقولهم لا بني آدم هابيل وقايل وهما في التوراة هابل وقين ولما تفرق اليهود كانت لغة كل منهم توافق لغة البلد الذي هم فيه فمن بقى منهم في فلسطين والشام والعراق تكلم بالارمية ومن انتقل الى مصر والى بلاد اليونان تكلم باليونانية ومن كان منهم في جزيرة العرب تكلم بالعربي وكانت لغتهم العربية فصيحة رشيقة

ومن مشاهيرهم السموءل بن عدياء وبه يضرب المثل في الوفاء . كان السموءل صاحب قصر منيع بمشرف على مدينة تيماء بين السجاز والشام يقال له الابلق الفرد ومن قصته أن امرأ القيس بن حجر أودعه بنيه وماله وأدوعه الخمس فطالبه إياها حارث بن ظالم فأبى فقبض حارث على ابنه وكان قد خرج للصيد وهدد السموءل بقتل ابنه فقال السموءل شأنك به فلبست أخضر ذمتي ولا أسلم مال جار وقال
وفيت بأدرع الكندي اني . اذا ما خان أقوام وفيت

والسموئل هذا هو القاتل

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث

ومن اليهود أيضاً شريح بن عمران وهو القاتل

آخ الكرام اذا وجد ت الى اخائهم سيلا

واشرب بكأسهم وان تشرب به السم الثميلة

ومن اليهود أيضاً شعبة بن حريص بن سموئل وهو القاتل

لباب يا أخت بني مالك لا تشتري العاجل بالآجل

ومنهم أيضاً اوس بن بني قريظة ومن قصته أن امرأته أسلمت ودعته الى

الاسلام فأبى مع أنه يسلم بفضل الاسلام وقال

دعني الى الاسلام يوم لقيتها فقلت لها لا بل تعالي تهودي

فنحن على توراة موسى ودينه ونعم لعمرى الذين دين محمد

كلانا يرى أن الرشادة دينه ومن يهدأبواب المرشد يرشد

وهذه الايات من العربية الخالصة لا تخل كلمة منها بالفصاحة ويؤيد ذلك

ما قلناه من أن العبرانيين بعد تفرقهم اتخذوا لغة البلد الذي استوطنوه ثم كان ظهور

الاسلام وانتشرت اللغة العربية في المشرق وفي مصر وفي افريقية وفي جزيرة الاندلس

فأصبحت هي لغة اليهود في هذه البلاد كلها ومن مشاهير علمائهم سعديا ولد في القيوم

ومات سنة ٣٣٠ وهو الذي ترجم كتب اليهود المقدسة من العبراني الى العربي ومنهم اسحق

ابن سليمان الاسرائيلي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ برع في علم الطب وألف كتاب الحيات

وغيره ومن أطبائهم أبو الفضل داود الاسرائيلي المتوفى سنة ٦٣٤. وآخرون ومن

شعرائهم ابراهيم بن سهل الاسرائيلي المتوفى سنة ٦٥٨ وديوانه مطبوع هنا في مصر

وهؤلاء كلهم كانت لغتهم العربية وان لم تكن فصيحة مثل لغة سموئل وشريح

وأما لغة العبرانيين فهي تشبه العربية وقد تخالفها في أمور كعدم التنية في الفعل

وغير ذلك .

* ٣١ *

(جزئيات المحاضرة)

سياق الكلام على اللغة العبرانية ومشايتها للعربية وكتب اليهود القديمة أي التوراة وسائر الكتب المقدسة . الكتب المتأخرة أي التلمود وما بجانبه ، ملل اليهود في الاجيال المتوسطة ، مضمون كل واحد من اسفار التوراة وسائر الكتب المقدسة

* *

الاسم في اللغة العبرانية إما مذكر وإما مؤنث والجمع لا يكون الا سالماً والهاء آلة التعريف عندهم ثم كل ما كان بالشين في العربي يكون بالسين في العبراني وبالعكس وكذلك كل ما كان بالعربي (آ) يكون في العبراني (و) مثلاً سلام يكون شلوم وكذلك الثاء في العربي هو بالعبراني بالشين أيضاً مثلاً ثور بالعبراني شور واسم الفاعل العربي لا بد أن يكون في العبراني فوعل ومثال ذلك كلمة كاهن في العبراني كوهن قال أبو الفداء في المختصر أصل الكاهن في لغتهم كوهن

وكذلك ما كان في العربي بالضاد ففي العبراني بالصاد فالارض في العبراني أرض كذلك ورث في العبراني ورش يرش

وهاك ثلاث كلمات من الزبور « صديقين يرشون أرض » أي الصديقون يرثون الارض فيعلم من ذلك أن اللغة العبرانية تشابه اللغة العربية كثيراً وكتب اليهود على صنفين الاول ما ألهم به الله في اعتقادهم وفي اعتقاد النصارى وغيرهم لموسى وللأنبياء الذين بعده ويقال لها الكتاب المقدس أو مقرا وأصل الكلمة من قرأ ومعناها قرأ (مقرا) أي ما يجب قراءته

والصنف الثاني الشريعة الشفوية أي ما ندب اليه موسى قولاً لا كتابة وتنقل عنه بالروايات اللسانية مما لم تنطق به التوراة وهو أي الصنف الثاني يحتوي على سنن ونصائح ايضاً لما جاء في التوراة ويقال لذلك الكتاب التلمود أي التلمذة والتعليم

وهو اي التلمود على قسمين قسم يتضمن الفرائض الدينية وهو بالعبرانية وقسم يتضمن مباحث فقهاءهم أي الربانيين في هذه الفرائض وهو باللغة الأرامية وهذا يوافق ما قلنا من أن العبرانيين في زمنهم الأخير كانوا يتكلمون بالارمية لا بالعبرية

وكل يهودي يقبل المقرأ أي الكتاب المقدس ويعتقد أنه كلام الله المنزل وأما التلمود فمنهم من يقبله ويقال لهم الربانيون . ومنهم من لا يقبله ويقال لهم القراءون سموا بذلك لان مرجع مذهبهم الى المقرأ دون غيره

ومن يهود مصر ربانيون وقراءون وأول من أبدع مذهب القرائين في اليهودية عنان بن داود وهو في أيام المنصور . وقال أبو الفداء عن الشهرستاني أن الربانيين مثل المعتزلة في الاسلام وليس بمصيب

وكان المقرأ في العبرانية كما تقدم ثم نقل الى سائر اللغات وأقدم التراجم الترجمة اليونانية حكى أن بطليموس الثاني ملك مصر طلب من اليهود أن يرسلوا اليه عدة علماء لنقل الكتاب المقدس الى اليونانية فأرسلوا اليه اثنين وسبعين رجلاً سناً من كل سبط من أسباط اليهود الاثني عشر وأجسن بطليموس ضيافتهم وأسكنهم مثتي في مقصورات منفصلين وكل اثنين قلا نسخة فصارت النسخ ستاً وثلاثين وقابل بعضها ببعض فلم يجد فيها اختلافاً يعبأ به . وهذا من الحكايات الغريبة يقبلها قوم ويردها آخرون ولا شك في كون كتاب اليهود منقولاً الى اليونانية على يد من كان في مصر من اليهود . ثم نقل هذا الاستخراج اليوناني الى اللاتيني ومنه الى سائر اللغات وترجم المقرأ أيضاً الى اللغات الارمية كالسريانية مثلاً وخصوصاً الى الارمية المائوسة عند اليهود في فلسطين لما احتاج يهود فلسطين الى استخراج الكتاب المقدس الى لغتهم الارمية كما احتاج يهود مصر الى نقلها الى لغتهم اليونانية وأول المقرأ التوراة وتوراة كلمة عبرانية أي تورا ومعناها الارشاد أو الهدى والتوراة على خمسة أسفار لكل سفر منها اسم في الترجمة اليونانية ليس في الاصل العبراني

السفر الاول يقال له التكوين أي الخلق وفيه ذكر خلق العالم واخبار آدم وحواء وأولاد آدم ثم اخبار نوح وأمر الطوفان وتبليل الالسن ثم ذكر ابراهيم خليل الله

واسحاق وابنيه التومين أي يعقوب وعيسو وقصة يوسف من أولها الى آخرها وهي طويلة في التوراة وهي من أحسن القصص

والسفر الثاني يسمى الخروج (سمي لأجل خروج اليهود من مصر) وفيه ولادة موسى وبعثه الى بني اسرائيل وشأن فرعون وخروج بني اسرائيل من مصر وصعود موسى الجبل وإيتاء الله له الألواح أي عشر كلمات وغير ذلك

والسفر الثالث ويسمى سفر اللاويين (أي الاحبار) فيه الشريعة في أمر القربان وفي الطهارة وفيما يجوز أكله وغير ذلك من الفرائض والحدود

والسفر الرابع يسمى العدد بعضه في الشرائع وبعضه في اخبار موسى وبني اسرائيل في التيه . ومن ذلك أيضاً شأن البقرة المعروف أمرها

والسفر الخامس يسمى التثنية (أي إعادة الناموس)

ويتلو التوراة سفر يوشع بن نون وهو في استيلاء بني اسرائيل على فلسطين . ثم سفر القضاة أي الحكم . ثم أربعة أسفار الملوك

السفر الاول في أخبار سمويل (في العربي سمويل) وشاول (في العربي طالوت) وشاول أصله في العبراني من فعل شأل أي سأل ومناه سؤول من الله تعالى

والسفر الثاني من سفر الملوك في ذكر داوود

والثالث والرابع في سليمان بن داوود وفيمن ملك بعده على بني اسرائيل من انقسام المملكة الى زوالها

وأغلب هذه الاسفار التي ذكرناها هي في أخبار بني اسرائيل وفي شريعتهم ويلها أسفار الانبياء . اثنا عشر من هذه الاسفار وجيزة ويقال لأصحابها الانبياء الاصغرون . وأربعة طويلة ويقال لأصحابها الانبياء الاكبرون وهم شعيا . أرميا . حزقيال . ودانيال . ومات شعيا في أوائل القرن السابع قبل الميلاد ومات أرميا بعد شعيا بمائة سنة ونيف ومات بعده حزقيال في القرن السادس . ودانيال المنسوب له السفر الرابع هو في أيام بختنصر وبعد رجوع اليهود من الجلاء في بابل اشتهر عزرا أي عزير في القرن الخامس قبل المسيح

﴿ ٣٢ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

ثمة الكلام في كتب اليهود المقدسة ، لغة تأليف اليهود الفلسفية والطبية في
الاجيال المتوسطة ، لغة بني مواب بن لوط والكتابة القديمة التي وضعها ملكهم
ميشع في القرن التاسع قبل الميلاد ، لغة الفينيقيين وكتاباتهم ، اللغات الارمية

بقي أسفار اليهود المقدسة بعضها في أخبارهم وبعضها في الحكم والنصائح وبعضها
في الاناشيد والتسايح ومن هذا الضرب سفر المزامير (الزبور)
والمزامير في الزبور مائة وخمسون نسب أغلبها الى داود النبي هذه هي الكتب
المترلة عند العبرانيين أي الكتب التي ذكرناها

وقد ذكرنا قبلا كتاب التلمود وأمر تفرق اليهود واتخاذ كل منهم لغة بلده
وكان ذلك الى القرن العاشر بعد الميلاد تقريباً ثم رجعوا الى تأليف كثير من كتبهم
بالعبرانية ولعاً بلغتهم القديمة ولهم في أيامنا هذه جرائد محررة بالعبراني ولغة هذه
الجرائد تبعد عن لغة التوراة فانها تتكلم عن هذا العصر أما التوراة فتتكلم عن القديم
وفي الاجيال المتوسطة برع اليهود في الفلسفة وفي الطب واستخرجوا الكتب العربية
(كابن سينا وغيره) الى العبراني ومن العبراني الى اللاتيني وبواسطتهم انتشرت في
المغرب واستفاضت تأليف أبي علي بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ويقال لابن سينا
في أوروبا (بيسن) ثم كتاب احمد بن يحيى المعروف بابن باجه المتوفى سنة ٥٣٣ هـ
ويقال له في أوروبا (أومباشه) وكان فيلسوفاً عالي الهمة وهو الذي مهد السبيل لابن
رشد وابن رشد توفى سنة ٥٩٥ هـ ويقال له عندنا (اويرويه) وكان لابن رشد مجادلة
مع الغزالي كما هو معروف وله كتاب تهافت الفلاسفة والغزالي تهافت التهافت وترجم
الى العبرانية ثم الى اللاتيني هذا هو أمر لغة اليهود

قد قلنا أن العبرانية من لغات كنعان ومن اللغات الكنعانية لغة مواب في

شرقي فلسطين وفي باريس توجد كتابة قديمة في هذه اللغة وضعها ملك اسمه (ميشع) يذكر فيها حروبه مع عمرى ملك الاسباط (أسباط بني اسرائيل) يقال لهم في كتب العرب ملوك الاسباط

ذكرنا أن مملكة بني اسرائيل تجزأت شمالية وجنوية الشمالية عشرة أسباط والجنوية سبطان فسميت الشمالية مملكة الاسباط وعمرى من ملوك الاسباط وهذا كان في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد

ومن لغات الكنعانيين لغة الفينيقيين ولم يبق من لغة الفينيقيين الا كتابات وضع بعضها الفينيقيون ووضع بعضها البونيون أي أهل قرطاجنة وهذه الكتابات من الجيل السابع قبل الميلاد

وأجل هذه الكتابات وضعه ملوك الفينيقيين كملوك صيدا (واسمها في القديم صيدون) يخبر الملوك في هذه الكتابات عن أنفسهم ويطلبون بالحاح شديد أن لا يفتح انسان قبورهم ولا يدنسها ويلعنون من اجتراً على ذلك قد فرغنا من الكنعاني ولنشرع في الارمي فنقول :

تقدم أن اللسان الارمي هو النوع الثاني من القسم الشمالي في اللغات السامية وفيه اي اللسان الارمي قسمان أحدهما غربي وهو لسان اليهود المتأخرين في فلسطين وفي مصر وهو لسان عدة أمم كالسامرية (قريب من نابلس) وتبط وأهل تدمر والقسم الثاني شرقي وهو لسان اليهود في بابل ولسان السريان وغيرهم وهو أجل هذه اللغات السريانية. كان ابتداء تحريرهم للكتب بهذه اللغة فيما بين النهرين وفي الرها ونواحيها وكانت الرها قصبة مملكة واسمها القديم باليوناني (الروهه) وبها سعى عند العرب الرها .

. وأما قول من قال أنها سميت باسم مستجدتها وهو الرهاء بن البلندا فوهم ثم انتشرت السريانية فأصبحت لغة العلماء من الامم السريانية والكتب المحررة فيها لا تحصى وأكثرها فيما يخص بالدين النصراني وفي كتب النحو أيضاً واللغة والفلسفة والطب. اكتسبوا العلم من اليونان وأذاعوه في بلادهم. كانت لهم مدرسة

مشهورة في الرها ثم أخرى في نصيبين كانوا يتعلمون فيها لغة اليونان وعلومهم وأسس كسرى أنوشروان مدرسة في جنديسابور وترجم له السريان الذين هناك كتب اليونان ومن القرن الرابع قبل الميلاد قد شرع السريان في استخراج الكتب اليونانية إلى السريانية ومن فحولهم في هذا الفن سرجيس من مدينة رأس عين المتوفي سنة ٥٢٦ ب م تقريباً وهو أول من علم أبناء وطنه فلسفة أرسطوطاليس ومنهم أيضاً يعقوب الرهاوي وهو فريد عصره ثم صار السريان واسطة لاقتباس العرب علوم اليونان كالمنطق والفلسفة وعلم الرياضة وعلم الفلك وهلم جرا

ومن الجيل الثاني للهجرة إلى الرابع نقلت أجل كتب اليونان إلى السرياني ومن السرياني إلى العربي (واليهود كانوا يستخرجون من العربي إلى العبراني ومنه إلى اللاتيني فكان اليهود واسطة بين اللاتين والعرب) لأن السريان يتعلمون اليونانية والعربية في مدارسهم وكانت لهم اليد الطولى فيهما وكفى بذلك مجداً لهذه الامة

ومن مشاهيرهم يوحنا بن ماسويه (يقال له بالعربي يحيى) في أيام هارون الرشيد ثم بويح للمأمون ابنه بالخلافة وكان من مساعدته للعلوم وإكرامه للعلماء ما لا يدخل تحت الوصف وكثرت في أيامه الترجمة والاستخراج ومن برع في هذا الفن الحجاج ابن مطر. وقد سبق ذكره ويوحنا بن بطريق (وبالعربي يحيى) الذي نقل إلى العربي بعض تأليف أرسطوطاليس وعبد المسيح الحمصي في أيام المعتصم وقسطا بن لوقا ومن مشاهيرهم حنين بن اسحاق المشار إليه بالبنان في معرفة لغة اليونان نقل إلى العربي كتب أفلاطون وأرسطوطاليس وبطليموس وإبقراط وتوفي حنين سنة ٢٦٠ هـ واسحق بن حنين المتوفي ٢٩٠ هـ ترجم كتب أرسطوطاليس وغيره

ومنهم أيضاً حيش بن الحسن وأبو بشر يحيى بن عدي المنطقي المتوفي سنة ٣٢٨ هـ وبرع السريان أيضاً في الطب وكانوا يتأدمون خلفاء بني العباس ومن أعيانهم جبريل بن يحيى بن عدي المنطقي المتوفي سنة ٣٢٨ هـ

أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

٣٣

-١١٥٤٤٣٥٣٠-

(جزئيات المحاضرة)

سياق الكلام في اللغة السريانية واختراع السريان للحركات وسببه ، الحركات عند
البرانيين وعند العرب ، علم النحو عند السريان ، تعريف الكلام عند اليونان وعند
العرب ، تعريف الاعراب

* *

وبرع السريان في علم الصرف والنحو أيضاً وهم الذين أبدعوا علامات الحركات
في لغتهم وأخذها منهم سائر الساميين . وذلك ان الاحرف الهجائية الفينيقية لا محل
فيها للحركات . فلما أخذ هذه الاحرف اليونان والرومان احتاجوا الى علامات الحركات
ولم يجدوها . ثم رأوا أن حروف الخلق كالهاء والعين تدل على أصوات غير موجودة
في لسانهم (أي في لسان اليونان) وانها قريبة الى صوت حركاتهم فاستعملوا هذه
الاحرف علامات لحركاتهم فالحاء من حروف الخلق وهي غير موجودة في لغتهم فأخذوا
منها أولاً ϵ وثانياً ϵ وكذلك العين من حروف الخلق وهي موجودة في الفينيقي
وليس عندهم فاستعملوا بدلها حرف o لانهما قريبان

هذا ما كان من أمر اليونان والرومان وأما السريان فاستغنوا بالاحرف دون
الحركات برهة طويلة من الزمان ثم تنصر السريان ونقلوا الى لغتهم الكتب المقدسة
خصوصاً الاناجيل وأرادوا ضبط كل كلمة منها عند قراءتها في الكنائس والبيع
احترازاً من الخطأ فان الخطأ في تلاوة مثل هذه الكتب المحترمة فاحش . وقد يستلزم
ما يوهم الكفر والزندقة في قارئها . ويمثال ذلك ما حكى عن أبي الاسود الدؤلي قيل
أنه أخذ النحو عن علي بن أبي طالب وكان لا يخرج شيئاً منه وسأله زياد بن أبيه

في وضع كتاب في النحو فأبى حتى سمع قارئاً يقرأ أن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر عطفاً على المشركين فقال ما ظننت أن أمر الناس آل إلى ذلك ووضع كتاباً فصار ابتداء النحو عند العرب كذلك

ولما لم يكن للسرمان بد من الحركات ولم تكن لهم سبيل إلى تغيير الأحرف المجهودة المستعملة أو إلى زيادة أخرى اضطروا إلى اختراع علامات صغيرة قصيرة لا تتأثر بها الأحرف ولا يغير شكلها فاقصروا على رسم نقطة أو سيطرة صغيرة فوق الحرف أو تحته أو في وسطه فبقيت الأحرف كما هي فلم يغيروا أحرفاً بل زادوا نقطاً أو سيطرات

ولما رآهم اليونان يستعملون بعض النقط فوق الحرف وبعضها في وسطه أو تحته وأن دلالة النقط تختلف باختلاف موضعها حذوا حذوهم وهذا استنباط منهم انتفع به علماء العرب فأتقنوه وأصلحوه وفي المصاحف القديمة من الجيل الثاني للهجرة تدل النقطة من فوق الحرف على الفتح ومن تحته على الكسر وفي وسطه على الضم ثم صارت هيئة الحركات على ما هي عليه الآن وكان ضبط الكلمات بالحركات وبالاعراب ضرورياً لأن العرب خالطات العجم فتغير لسانهم

ونرى الأئمة في اللغة ألفوا كتباً في الخطأ والصواب مثل كتاب أبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ وهو من أقدم النحويين وسادتهم وهذا الكتاب فيما تلحن فيه العامة ومثله كتاب المازني المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ولا حاجة إلى ذكر درة الغواص في أهوام الخواص للحريري فإن هذا الكتاب يتداوله كل من له رغبة في العربية الفصيحة.

وبواسطة الحركات دل على هيئة اللفظ الصحيح مطابقة لكلام الأعراب البدوين الذين كان النحاة القدماء يستشهدون بلغتهم وكانت لغتهم على أفصح ما يكون. ولذلك سمي الأعراب أعراباً فإن الأعراب في المعنى الأصلي هو التكلم على طريقة العرب كما أن الأعجام هو التكلم على طريقة الأعاجم. وفي كلام الأعراب كانت تتغير أواخر الكلمات رفعاً وجراً ونصباً والأعراب في اصطلاح النحاة هو تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها حقيقة أو حكماً

واخذ العبرانيون ايضاً الحركات من السريان

وقد سبق القول في اشتغال السريان بالعلوم اليونانية وفي نقلهم لكتب أرسطاطاليس وغيره الى العربية . وسبق القول في أن كسرى أنوشروان أسس مدرسة في مملكته لتعليم الفلسفة والعلوم اليونانية على أيدي السريان فانتشرت هذه العلوم عند الفرس وشاعت . وقد أشار ابن خلدون في المقدمة الى أن أقدم النحاة وأجلهم كسيويه والفارسي والزجاج كلهم من الاعاجم نسباً وبمخالطة العرب وبالتدين بالاسلام اكتسبوا اللسان العربي . وعند وضعهم كتبهم المشهورة سلكوا مسلكاً فيلسوفياً يتعلق بالمنطق ومن ذلك أن أرسطاطاليس قال ان الزمان والمكان هما كالوعاء للأشياء اذ لا بد لكل شيء مخلوق أن يكون واقعاً في زمان من الازمنة وفي مكان من الامكنة فهما كالوعاء له . وهذا أصل تسمية النحويين للمفعول فيه ظرفاً أي وعاء . ومن مذهب أرسطاطاليس في المنطق تقسيم الكلم الى اسم وفعل وحرف وتعريف الكلام عند نحاة اليونان هو تركيب كلمات تفيد معنى تاماً وهذا يماثل تعريف الكلام عند نحاة العرب اذ الكلام عندهم لفظ مركب مفيد يحسن السكوت عليه

والصرف عند اليونان هو تحويل آخر الكلمة من حرف الى آخر ويضاهيه تعريف الاعراب أي عند نحاة العرب تغيير أواخر الكلم الخ . ويقال للصرف عند اليونان كلسيس ومعناه امالة الشيء أي صرفه .

هذا ما كان من اختراع السريان للحركات واشتغالهم بالمنطق تبعاً لليونان . وبعد ذلك انتشرت بينهم اللغة العربية . ومن القرن الخامس أو السادس للهجرة كانت العربية لسانهم المأثوس الا ما يختص بأمور الدين كالصلوات وشبه ذلك . وأما السرياني الحديث الذي يتكلم به بعض سريان العراق ونواح من فارس تلى العراق فهو متولد من القديم غير أن الالفاظ العربية والفارسية الدخيلة كثيرة فيها الى الغاية ولا كتب في هذه اللهجات الا الحكايات والامثال وما ترجم اليها حديثاً

﴿ ٣٤ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

اللغات الارمية الغربية، ارمية اليهود وترجمتهم للكتب المقدسة أي ترجوم، السامريون ولغتهم، لغة تدمر واخبار هذه المدينة، ذكر قبورهم فيها وصور المدفونين المنقوشة عليها، أشعار العرب في ذلك، لغة النبط وكيفيتها، لغة الارميين في مصر في الفترة بين الفراعنة والاسكندر

* *

من اللغات الارمية الغربية لغة اليهود المتأخرين . وبعض أجزاء كتب اليهود المقدسة محرر بهذه اللغة والبها نقلت جميع الكتب المقدسة كما تقدم . ويقال لهذا النقل (ترجوم) أي الترجمة . وفيها كذلك تأليف ومتون وحكايات وضعت لايضاح المقرأ . ومن اللغات الارمية الغربية اللغة السامرية أي لغة مدينة سامرة (قريباً من نابلس) في فلسطين وهي لغة من تناسل من السمرة الذين أسكنهم ملك آشور في مدينة سامرة ونواحيها بعد أن خربها وأجلى أهلها من بلادهم . والسامرية على دين اليهودية غير أنهم انفصلوا من يهود القدس في القرن الخامس قبل الميلاد ولم يقبلوا من كتبهم الا التوراة وترجموها الى لغتهم المخصوصة فلم التوراة في العبرانية وهو الاصل وفي السامرية وفي العربية ولهم أيضاً صلوات وتسايح غير أن لغتهم الآن عربية . ومن اللغات الارمية الغربية لغة تدمر وتسمى في أوروبا الآن Palmira وتدمر مدينة مشهورة في بركة الشام فيما بين حمص والفرات . حكى أنها مبنية على عمد الرخام وبانيها في قول بعضهم سليمان ابن داوود وما أحسن آيات النابغة الذبياني في قصيدته التي هي من مخدرات العرب كما قال صاحب أديات اللغة العربية وأصاب

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الاقوام من أحد
الا سليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحدها عن الغند

وخيس الجن انى قد أذنت لهم يننون تدمر بالصقاح والعمد
قال ياقوت الناس اذا رأوا بناء عجيبياً أضافوه الى سليمان والى الجن اه
وكانت تدمر بلداً يتجر فيه واليه قاتها فى وسط مملكتين عظيمتين مملكة الفرس فى
الشرق ومملكة الرومان فى الغرب وهى مستقلة ثم كان من أمر سابور ملك الفرس أنه
أسر ملك الرومان (والارياوس) فأراد ابنه جالينوس الذى ورث مملكته أن يأخذ
من سابور ثأره فساعده على ذلك رجل من وجوه مدينة تدمر اسمه أذينة
وهو رئيس العرب القاطنة فى المدينة وفى نواحيها وزحف أذينة الى سابور وهزمه فقلده
جالينوس الملك على بلاده وذلك فى سنة ٥٦٠ ب م . ثم مات أذينة عن ابن صغير
اسمه وهب اللات ومعناه هبة اللات فانهم كانوا يعبدون اللات والعزى وهبل كبنى
كذابة وبني قريش وغيرهم فى الجاهلية . واذ كان وهب اللات حديث السن تولت
أمه زينوبياً نيابة الملك وكانت زينوبياً فريدة عصرها فى حسنها وفى عقلها وفى بأسها
وتغلبت على الشام وعلى بعض نواحي مصر ثم هاجت الحرب بينها وبين (أورليان)
ملك الرومان وكسر أورليان جيوشها مرتين ثم حاصرها فى مدينتها تدمر الى أن
هربت وخربت المدينة فى سنة ٣٧٢ ب م . هذه هى الاخبار الصحيحة لانها وردت
من المعاصرين ولا شك أن إياها (أي زينوبياً) غنى علماء العرب فى حكايتهم عن
الملكة الزباء أي الملكة نائلة التى ورثت الملك عن أبيها عمرو بن الظرب وأرادت
الانتقام له من جذيمة الابرش . وحكايتها وأمر قصير والجمال وما ضرب حينئذ من
الامثال لا محل هنا لذكره . ووجدت فى نواحي تدمر كتابات عديدة ولغتهم من
اللغات الارمية النورية وثقارب النبطية وفى بعض هذه الكتابات اسم ملكهم أذينة
الموما اليه

قال ياقوت ان الكتابة التدمرية لم يصل العلماء الى تفسيرها . وهذا فى زمانه
وأما الآن فهى مفسرة واضحة . وكان أهل تدمر ينقشون على القبور صور الرجال
المدفونين داخلها ومثل هذه الصور صورة جاريتين رأها أوس بن ثعلبة التيمي فى أيام
يزيد بن معاوية وقال فيهما

فتانى أهل تدمر خبرانى ألما تسأما طول القيام
قيامكا على غير الحشايا على جبل أصم من الرخام

وقال محمد بن الحاجب

أتدمر صورتاك هما لقلبي غرام ليس يشبهه غرام
وهذه الاشعار اللطيفة على الشواهد

﴿ ٣٥ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

اللغة النبطية ، اللغة الارمية في مصر في أيام سلطة الفرس ، اللغة العربية المعهودة
وكيفيتها ، اللغة العربية القديمة وكتاباتهما في الحوران « صنى » « لحية وثمود » كتابة
الملك امرئ القيس بن عمرو

☆☆

ومن اللغات الارمية الغربية لغة الكتابات النبطية وكانت الانباط أمة عربية
الاصل ولغتهم المأنوسة العربية وكانت اذ ذاك العربية للتكلم وللمحاوره بين الناس
لا لتحرير الكتابات أو المكاتيب اذ الاحرف الهجائية لم تستنبط بعد عند العرب
ويعاثل ذلك أمر التوبة فان لغتهم تخالف العربية غير انهم لا يحررون المكاتيب الا بها
ومملكة الانباط كانت في القرن الاول قبل الميلاد وتوسع من شمالي الحجاز الى نواحي
دمشق ومن أشهر ملوكهم حارثة الثالث والاسم يدل على أنه عربي ثم دخلت مملكتهم
في طاعة الرومان حتى صارت في سنة ١٠٥ ب م ولاية من ولاياتهم

وقد أشرنا الى أن اللغة الارمية الغربية هي لغة الفرس الرسمية في النواحي ما بين
الفرات الى البحر الايض المتوسط وفي مصر كذلك في الفترة بين الفراعنة والاسكندر
وهي لغة اليهود الذين كان سكنهم في أصوان وهم على دين موسي يعبدون الله تعالى

خالق السموات والارض وكان لهم هناك هيكل ثم هدم كهنة المصريين هيكلمهم فاستنجد اليهود عليهم بحاكم البلد وباليهود القاطنين في القدس وبعض هذه المكاتب المحررة بهذه اللغة هي في الاتيكخانة في مصر وجميع هذه اللغات الارمية الغربية تتشابه أشد تشابه

قد تقدم أن لسان العرب على قسمين شمالي وجنوبي وبينهما التيه المسمى الآن بالربع الخالي والقسم الثاني الشمالي يشمل العربية المعهودة أي لغة معد بن عدنان من ربيعة أو من مضر . وهي من أحدث اللغات السامية كتابة فان أول ما بلغنا مما سطره البابليون هو في غاية القدم أي من القرن الاربعين قبل الميلاد

والكلمات الكنعانية في مكاتب تل العمارنة هي من القرن الخامس عشر قبل الميلاد ثم الكتابات السبئية في جنوب جزيرة العرب قيل انها من القرن الثاني عشر والكتابات الفينيقية والارمية من القرن اثنامن أو السابع ق م . وكتابات الحبش القديمة سطرت في منتصف القرن الرابع بعد الميلاد . وخلافا لهذا كله ما روى من شعر العرب كشعر المهلهل وامريء القيس لا يبلغ القرن السادس بعد الميلاد ومع ذلك لا تعرف لغة في اللغات السامية تكون أقرب الى اللسان الاصلي وأصح في أبنية الاسماء والافعال من اللغة العربية وذلك لان العرب لم يخالطوا غيرها ولم تقصدها ملوك وجيوش طموحا الى امتلاكها ولم تدخل تحت حكم أمة أجنبية كسائر الساميين فان أهل بابل ونيوى خالطهم أم أجنبية لا مناسبة بينهم وبينها لا في النسب ولا في اللغة . ويقال لهذه الامم سمير وأكاد فتغيرت بسببهم لغة بابل منذ زمان طويل

وقد سبق أن العبرانيين لما تغلب عليهم الكلدانيون مالت لغتهم الى الارمية ولتقس على ذلك شأن سائر الساميين . وأما العرب فعلى خلاف ذلك وقد تمكنوا من غزو الاعداء ولهم المفازة التي بينهم وبين العراق والشام أي صحراء الشام والنفود . ومن هجم عليهم في بلادهم لم تدم سلطته عليهم كملوك الآثوريين أو رجع بالحيلة وبالاتصاح كغالوس الذي ذكرناه

وقبائل العرب الشمالية تنتمي الى معد بن عدنان أي إما الى ربيعة أو الى مضر .

غير أن بعض القبائل التي كان سكانها الأصلي في الجنوب انتقلت إلى الشمال وتحولت لغاتها إلى لغة ربيعة ومضر كبنى طيء وكندة وتبوخ

وقد تقدم أن أقدم أشعار العرب من القرن السادس أو قبل هذا. وفي عصرنا عثر المسافرون على كتابات وجيزة خطت على الصخور في النواحي التي بين دمشق والعلب. ولغة هذه الكتابات هي العربية القديمة وتجانسها كتابة خطت على قبر ملك اسمه امريء القيس الذي مات سنة ٣٢٨ ب م. وأما الكتابات التي أومأنا إليها فهي من رسم الرعاة. ولغتها تخالف في بعض الأمور العربية المعهودة الآن. ومن ذلك أن التعريف بحرف الهاء لا بالالف واللام. ففرس مثلاً معناه فرس وهفرس معناه الفرس ورد في إحدى هذه الكتابات هذه الكلمات حامل بن سلم أخذ هفرس بخمسة أمنى (وأمنى اسم تقود من تقودهم أي منا)

وفي أخرى هذه الكلمات الانم بن فاحش غنم سنة حرب نبط. وحرب نبط هي في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد في أيام طرايانوس ملك الرومان. واستدل بذلك على أن هذه الكتابات من القرن الأول أو الثاني تقريباً وفي أولها أو في آخرها ترد هذه الكلمات سلم فوها اللات (فوها — قدام)

وأجل من ذلك ما كتب على قبر امريء القيس الذي تقدم ذكره. كان آخر القيس هذا ملكاً وكانت وفاته في سنة ٣٢٨ ب م كما هو مرسوم في الكتاب. ذاتها وكنيته ابن عمرو وإذ كان اسمه امرؤ القيس بن عمرو وكانت دولته في أوائل القرن الرابع ب م فلا يبعد أن يكون هذا القبر قبر امريء القيس بن عمرو ملك الحيرة في أواخر القرن الثالث وفي أوائل القرن الرابع. ونص كتابة القبر هكذا. وهي بالاحرف النبطية ولكني أكتبها بالعربية « تي نفس امريء القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسير التاج » تي يعني هذي — نفس يعني قبر — ذي يعني الذي — أسير يعني لبس ثم يقول « وملك الاسدين ونزار (وهي قبائل) ثم يقول وملوكم وهرب مذ حجب ثم بعض كلمات لا تقرأ. ثم يقول حجب لنجبران مدينة شر (حجب. حاصر) ثم يقول وملك ابته (وهنا اسمان لا يقرآن) الشعوب ووكاهم فراس للروم

(ووكلمهم . جعلهم) ثم يقول في الآخر فلم يبلغ ملك مبلغه هلك سنة ٣٢٨ ثم في الآخر بالسعد ذو ولده (أي يكون سعيداً الذي ولد له) والتاريخ بالارقام موجود بالنبطي وهو يوافق ٣٢٨

هذا يستحق أن يسمى العربية القديمة . وأما أشعار الجاهلية فهي لغة مائتة والدخيل في العربية كثير وجمعه الأئمة كالجواليقي وكتاب الحفاجي وقبل أن أذكر الكلمات المفردة الدخيلة نكل شرح اللغات السامية بذكر الحميرية والحبشية

﴿ ٣٦ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

اللغة العربية الجنوبية . حال اليمن وتجارها . الاحرف الحميرية والاختلاف في أصلها . الاحرف الحبشية



القسم الجنوبي من اللغة العربية يشتمل على لغة سبأ وحمير وعلى لغة الحبش . ولسان حمير وسبأ لسان بني قحطان (ولا نبحث الآن عن أحوال الامم القديمة كهاد وحمود والعمالة وطسم وجديس ولغاتهم) وبلاد سبأ وحمير اليمن كما هو معروف وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها التي ملأت الدنيا ولا تكون الا في اليمن كالعطور والكندر والورس وغيرها . وكانت بلاد اليمن في غاية العمار حتى غلبت عليها عند اليونان صفة السعيدة فكان يقال لها بلاد العرب السعيدة وكانت بضائع الهند تجلب اليها ثم تحمل العطور والبضائع الى مأرب وهي قصبة اليمن اذ ذاك ومن ثم الى مكة . وكانت مكة تسمى عند اليونان واللاتين ما كوربا (Macoraba) أي البلد الكبير

كان ملك اليمن باديء الامر لسبأ ثم انتقل الى حمير واذا كان مسكنهم ساحل البحر بمحذاء بلاد الحبش كان من الحروب بينهم وبين الحبش ما يطول الكلام فيه في هذا

المحل . ثم دخلت اليمن تحت حكم الفرس واضطحت لغتهم في أثناء ذلك واستفاضت
بينهم العربية غير أن في عريتهم عجمة ولكنة

ويطلق على الكتابات الموجودة في جنوب جزيرة العرب صفة الحميرية فيقال الكتابة
الحميرية . ومن أراد التدقيق والتحقيق فرق بين الكتابات الحميرية والسبئية وغيرها
والحميرية أحدثها . والاحرف الحميرية تخالف سائر الاحرف الهجائية التي ذكرناها واختلف
في اشتقاقها . ومنهم من قال انها من الاحرف الفينيقية مباشرة ومنهم من قال انها من
الاحرف الفينيقية بواسطة الاحرف اليونانية

عزى	جمهرى	حبشى	عزى	عميرى	حبشى
ا	𐩀	𐩁	غ	𐩂	𐩃
ب	𐩄	𐩅	ف	𐩆	𐩇
ج	𐩈	𐩉	ح	𐩊	𐩋
د	𐩌	𐩍	ق	𐩎	𐩏
هـ	𐩐	𐩑	ر	𐩒	𐩓
و	𐩔	𐩕	ش	𐩖	𐩗
ز	𐩘	𐩙	ت	𐩚	𐩛
ح	𐩜	𐩝	ث	𐩞	𐩟
ط	𐩠	𐩡	ذ	𐩢	𐩣
ى	𐩤	𐩥	غ	𐩦	𐩧
ك	𐩨	𐩩	خ	𐩪	𐩫
ل	𐩬	𐩭	ض	𐩮	𐩯
م	𐩰	𐩱	ظ	𐩲	𐩳
ن	𐩴	𐩵	ث	𐩶	𐩷
س	𐩸	𐩹			

(شكل ١)

أما صور الاحرف الحميرية والحبشية فهذا جدول كتبت فيه على ترتيب
الاحرف الابجدية (انظر شكل ١)

الاسم في لغة حمير إما أن يكون متمكناً أمكن أو متمكناً غير أمكن . وعلامة الاول عندهم م بدل التوين في العربية الحديثة فملك مثلاً يكتب عندهم م ل ك م فالميم في محل التوين عند العرب وتحذف للاضافة فاذا أريد اضافة سبأ الى ملك كتب هكذا م ل ك م س ب أ

العلمية ووزن الفعل وألف التأنيث تمنع الاسم من الصرف مثل العربي فكلبة مثلاً علم على قبيلة فت منع من كتابة الميم في آخرها فتكتب ك ل ب ت والجمع السالم في لغة حمير يكون بالميم وعلى القارىء أن يميز بين الميم التي تدل على صرف الاسم وبين الميم التي تدل على الجمع السالم . وأما المثني فبالتون والياء فجمع ملك مثلاً يكتب م ل ك م باضافة ميم الى آخره كالاسم المنصرف . ومثناه يكتب م ل ك ن ي باضافة ن ي الى آخره والجمع المكسر كثير في لغة حمير وهو كالمعرب فيأتي على وزن أفعال وفعل وفعال وأفعل وغير هذه من الاوزان العربية

والنسبة في اللغة الحميرية بالياء فمثلاً عدن تكتب ع د ن ي واسم الاشارة في لغة حمير (ذ) ويجوز أن تقرأه ذا أو ذو ولا يمكن أن نعرف أصله لان الواو والالف والياء كثيراً ما تحذف من الكلمات في الكتابة الحميرية وقد تلحق باسم الاشارة ن ثقوية للاشارة لا غير فيصير ذ ن والمؤنث في الاشارة ذ ت ولعل المتروك الالف فيكون ذات وهو بمعنى هذي وفي الجمع أل

التعريف عند حمير غير مأنوس في لغتهم اللهم إلا في الازمان المتأخرة فكأنهم استعملوا أم بدل أل ومنه الحديث المشهور ليس من امبرامصيام في امسفر جواباً على قول حميري للنبي (ص) أمن امبرامصيام في امسفر

الفعل الذي على وزن افعل عند حمير بالهاء بدل الهمزة في أوله فأقنى مثلاً يقال فيه هقنى وتصريف المضارع من الماضي كالأفعال العربية فعندهم فرع يفرع ومعناه أعطى الجباية

والضمير المتصل في الحميري (هو) فملك مثلاً يقال فيه ملكهو وضمير المثنى المتصل
(همي) فيقال ملكهمي والجمع (همو) فيقال ملكهمو

❖ ❖ ❖

(جزئیات المحاضرة)

تفسير بعض الكتابات الحيرية وشرح الكلمات الواردة فيها، ذكر ما جاء فيها من أسماء الهتهم مثل « إل مقه » المعبود في هرّان وفي أوّام الخ

هذه كتابة حميرية فيها اسم رجل واسم إله من آلهتهم . واذ كانت الكتابة الحميرية منفصلة الأحرف اعتادوا على رسم سطر صغير من أعلى إلى أسفل في آخر كل كلمة ليفصلوا بينها وبين التي تليها فيدلوا على أنها كلمة مستقلة وهذه الكتابة مؤلفة من خمس عشرة كلمة (انظر شكل ٢)

109464 | X716 | 050 | 04470 | 8740

$\begin{array}{c} 1. \\ | 74 | 54 \overset{9}{5} \times 8 | 5 \overset{A}{H} | 5 \overset{V}{5} \overset{V}{4} H | 4 \overset{7}{0} 8 1 \overset{7}{H} \end{array}$

$\begin{array}{c} 12 \\ |08490001 \end{array} \quad \begin{array}{c} 12 \\ |041\dot{1}\dot{1}8n \end{array} \quad \begin{array}{c} 11 \\ |084\ddot{4}\ddot{4}00 \end{array}$

10 12
| 8 X 8 0 5 | 0 8 4 4 0 7 1 0

(۲۷)

وكتابتها بأحرف عربية هكذا

(١) وهبم (٢) وأخوه (٣) بنو (٤) كلبت (٥) هقنيو (٦) إل مقه (٧) ذهرن

(۸) ذن (۹) مزندن (۱۰) حجن (۱۱) وقهه و (۱۲) بمسأله و (۱۳) لوفیه و (۱۴)

و بعد شو (۱۵) نعم

وتفسير هذه الكلمات هو

(١) (وهيم) أي وهاب اسم رجل والالف كثيراً ما تحذف من وسط الكلمة وآخرها في الكتابة الحميرية وكذلك الواو والياء . أما الميم الأخيرة فهي بدل التنوين في العربي ٢ (وأخوه) أي وأخوه ففيه واو حذفت بعد الهاء . أما هو في آخرها فهي بدل ضمير الغائب وهو (هـ) في العربي (٣) بنو كتب بالواو لأنه للقبيلة (٤) كلبت أي كلبة بالياء المربوطة وليس في الكتابة الحميرية تاء مربوطة وكلبة اسم قبيلة (٥) هقنيو أي أقنوا ومعناه أعطوا والفعل الذي على وزن أفعل في اللغة الحميرية تبدل همزته هاء والمعتل لا يحذف حرف العلة منه مع اتصاله بواو الجماعة (٦) المقة اسم إله من آلهتهم كان يعبد في هران وفي أوام (٧) ذهرن أي ذو هران الواو حذفت من ذو والالف من هران

٤ ٥ ٦ ١
| ٦X ٨ ٤ | ٩X ١ ٥ ٧ | ٨ ٦ ٥ ٣ ٥ | ٥ ٤ ٨ ٦ ٨ ٤ ٦
١٠ ٩ ٨ ٧ ٦
| ٤ ٥ ٨ ١ ٦ ١ | ٦ ٦ ٨ ٥ | ٩X ٨ ٣ | ٧ ٩ ٦ ٨ | ٦ ٦ ٦ ٤ | ٥ ١ ٤ ٧
١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠
| ٥ ٨ ٤ ٩ ٥ ٥ ١ | ٥ ٤ ١ ٦ ٦ ٨ ٧ | ٥ ٨ ٤ ٤ ٥ ٥ | ٦ ٦ ٧ | ٨ ٥ ٦ | ١ ٥ ٧

(شكل ٣)

وذو بمعنى صاحب وهران موضع قال باقوت أنه حصن دمار باليمن (٨) ذن أي دان وهو اسم إشارة زيدت النون في آخره لكيد الإشارة وحذفت منه الالف كالعادة (٩) مزندن أي لوح وهو لفظ حميري (١٠) حجن معناه لان أو بسبب (١١) وقهمو أي أجابهم وهو هو ضمير المفعول في الجمع (١٢) بمسألهو أي عن سؤاله (١٣) لوفيهمو . هو فعل لم يحذف منه حرف العلة كما في هقنيو ومعنى لوفيهمو أي سلمهم (١٤) وسعدهم أي وساعدهم (١٥) نعمتم أي نعمة والميم بدل التنوين

وهذه كتابة أخرى مؤلفة من ست عشرة كلمة (انظر شكل ٣)

وكتابتها بالاحرف العربية هكذا

(١) أخت أمهو (٦) وشقترم (٣) بعلي (٤) خمتن (٥) بخلف (٦) هجرن (٧)
مريب (٨) شمتي (٩) وثنن (١٠) لالقه (١١) بل (١٢) اوم (١٣) حجن (١٤)
وقهيمو (١٥) بمسألوه (١٦) لوفيهمو

وتفسير هذه الكلمات هو

(١) أخت أمهو أي أخت أمه وهذا اسمها وهو في أمهو بدل الهاء في العربي (٢)
وشقترم . علم وهو يقرب من الشفري (٣) بعلي أي صاحبي (٤) خمتن . أي الخيمة

٥ ٤ ٣ ٢ ١
| ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ٥ ٤ ٣ ٢ ١ |
١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
| ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ |
١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
| ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ |
١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
| ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ |
١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
| ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ | ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ |

(شكل ٤)

فالياء محذوفة من وسط الكلمة كما تقدم والنون الاخيرة بدل أل أداة التعريف (٥)
بخلف أي وراء (٦) هجرن أي مدينة ولذلك قيل لقاعدة البحرين هجر
والنون فيها للإشارة (٧) مريب هي مدينة مأرب المعروفة في اليمن وكان اسمها عند
القدماء من اللاتين مريب وهو يطابق الاسم الحميري (٨) شمتي أي وضعتا (٩)
وثنن أي صنما والنون فيه للإشارة (١٠) لالقه أي للبقه الاله الذي تقدم ذكره
(١١) بل أي صاحب (١٢) اوم أي اوام وحذفت منه الالف كما تقدم واوام بلد

(١٣) حجن أي لان أو بسبب (١٤) وقهيمو أي اجابهم (١٥) بمألهو أي عن سؤاله (١٦) لوفيهيمو . لسلمهم

وهذه كتابة أخرى مؤلفة من كلمات كثيرة بعضها تقدم ذكره في الكتابات السابقة نتركه هنا ونضع موضعه أصفاراً (انظر شكل ٤)
وكتابتها بالاحرف العربية هكذا

(١) أسعد (٢) موضع كلمات تقدم نظيرها (٣) وزفيمو (٤) اولدم (٥) أذ كرم (٦) هنأم (٧) لوزفيمو (٨) أنمرم (٩) وأقلم (١٠) ووفي (١١) أبعل (١٢) يتيهمو (١٣) موضع كلمة لا تقرأ فتركناها (١٤) بن (١٥) حرى (١٦) وابن (١٧) ومعنى (١٨) وهرم (١٩) وسضر (٢٠) كل (٢١) انسم (٢٢) ذ يشعين (٢٣) بهيمو (٢٤) بغير (٢٥) صدقم

وتفسير هذه الكلمات هو

(١) أسعد فعل بمعنى أعان كالعربي (٣) وزفيمو فعل اصله وزف أي منح وهو ضمير جمع الغائب (٤) اولدم . أي أولاداً حذفت منه الالف قبل الدال وهو كثير والميم فيه بدل التوين في العربي (٥) أذ كرم . أي اذ كراً فاليم بدل التوين وهو جمع ذكر ضد الاثني وهذا الجمع ليس قياسياً في العربية فان ما كان من الاسماء العربية على فعل لا يجمع على أفعل قياساً إلا اذا كان سا كن العين كفلس وأفلس (٦) هنأم . أي هنيئاً ومعناه بغير مشقة كالعربي حذفت منه الياء قبل الهمة كما هي العادة والميم فيه بدل التوين فأصل الكلمة في الحميري ه ن ي ء م يقابلها في العربي ه ن ي ء (منوثة) وفي الاسم العربي الهمة اذا كانت في آخر الكلمة بعد ياء تصور مفردة مثل شيء فاذا نونت بالنصب وزيدت الف علامة للتوين بالنصب وصلت الالف بالياء التي قبل الهمة لعدم جواز الفصل فيهما ووضعت حينئذ الهمة على نبرة بين الياء والالف كما ترى في هذا الرسم (٨) أنمرم . اي أنماراً حذفت الالف قبل الراء والميم بدل التوين (٩) وأقلم . أي وأقلاً حذفت الالف قبل اللام والميم بدل التوين وأقال جمع ققل والققل الربيع يقولون الارض هذا العام كثيرة الققل أي

الريع وقد اقلت ارضهم إقثالا (١٠) ووفى أي أم أو أدى (١١) أبعل . أي أبعالا جمع بعل بمعنى صاحب محذوف الالف قبل اللام (١٢) يتهمو معروف (١٤) بن من بالباء بدل الميم كما يقال بكة في مكة (١٥) حرى . سوء وليكتنا لانعرف اشتقاق الكلمة (١٦) وليس أي لسان حذفت الالف قبل النون (١٧) ومغض هو عربي كذلك يقال معض من هذا الامر وامتعض منه أي غضب وشق عليه واوجعه (١٨) وهرم اضعف (١٩) وسضر لا نعرف له اصلاً في العربية وقيل هي في الحميرية التثنية (٢١) انسم أي اناس حذفت منه الالف بعد النون والميم في آخره بدل التوين (٢٣) ذ يشعين . هي ذو الطائفة بمعنى الذي ويشعين محذوف الوار فهو يشعيون ومعناه يوقعون من شعى يشعي أي اوقع (٢٥) صدقم أي صدق الميم فيه بدل التوين

وكتابتها بالأحرف العربية هكذا

(١) سعد الله (٢) وبنه (٣) بنو (٤) مرثد (٥) هقنيو (٦) المقة (٧) ذهرن
 (٨) مزندن (٩) حجن (١٠) وقهيمو (١١) بمسألهو (١٢) المقة (١٣) بعل (١٤) أوم
 (١٥) ذعرن (١٦) ألو (١٧) فوقه (١٨) مرثد (١٩) لشيم فليت (٢٠) اسررهو
 (٢١) ووقهيمو (٢٢) ليصلن (٢٣) قعم (٢٤) وشعم (٢٥) بشو (٢٦) بنخرم (٢٧)
 وليقتورو (٢٨) بنه (٢٩) ولذبجو (٣٠) بمشمي (٣١) عثر (٣٢) وشمش (٣٣)
 وذبحو (٣٤) بهرن (٣٥) حل (٣٦) علم (٣٧) هو (٣٨) تعلم (٣٩) سعدله (٤٠) علم
 (٤١) رأ (٤٢) بن (٤٣) بردم

وتفسير هذه الكلمات هو

(١) سعد إله . أي سعد الله وهو علم (٢) وبنه . أي وبنوه والياء محذوفة كما قلنا
 ذلك قبل أن الالف والواو والياء كثيراً ما تحذف من وسط الكلمة في الكتابة الحيرية
 وأعتبرنا المحذوف ياء لا واواً لما تقدم من أن ابن يكون جمعه بالياء إذا كان لرجل
 وبالواو إذا كان لقبيلة . وهو في وبنه هو بدل ضمير الغائب وهو الهاء (٣) بنو . جاء
 بالواو لأنه لا بناء القبيلة (٤) مرثد . أي مرثد اسم قبيلة وهو علم لكبيرها والميم فيه
 بدل التوين (٥) هقنيو . تقدم (٦) المقة . تقدم أنه إله من آلهتهم وكان يعبد في
 هرتان وأوام (٧) ذهرن . أي ذو هرتان وتقدم شرحه (٨) مزندن . تقدم شرحه
 كذلك (٩) حجن تقدم أنه بمعنى لان أو بسبب (١٠) وقهيمو . تقدم تفسيره (١١)
 بمسألهو . تقدم تفسيره (١٢) المقة . معروف (١٣) بعل تقدم أنه بمعنى صاحب هنا
 (١٤) أوم . أوام وهو اسم بلد حذفت فيه الالف قبل الميم (١٥) ذعرن . أي ذو عرن
 حذفت منه الواو والالف وهو اسم موضع قرب اليمامة (١٦) ألو . اسم موضع (١٧) فوقه
 فأجاب (١٨) مرثد . أي مرثداً (١٩) لشيم . وهو من شام بمعنى وضع وهو نادر
 ولم أجده إلا في سيرة ابن هشام (٢٠) اسررهو . أي اسرارهم . محذوف الالف
 وهو جمع سر (٢١) ووقهيمو . تقدم ويرى في كلام حمير كلمات كثيرة مكررة تكرر
 يخرجها عن المؤلف وذلك يدل على عدم فصاحتهم (٢٢) ليصلم . أي ليحامي (٢٣)

قعم . أي قيعه جمع قاع بمعنى الأرض السهلة التي انفرجت عنها الأكمام والجبال .
أو هو مفرد بهذا المعنى . حذفت منه الياء قبل العين والميم فيه بدل التثوين (٢٤)
وشعم . أي وشعباً وهو القبيلة والميم بدل التثوين (٢٥) بمثو . أي بمثوى اسم مكان
من ثوى أي أقام وهو محذوف الالف من الآخر (٢٦) بخرف . أي بخريف محذوف
الياء . وكانوا في جنوب الجزيرة يعتبرون العام فصلين فقط وهما الشتاء والصيف (٢٧)
وليغثوروا . وليردوا (٢٨) بنهو أي بنيهو وتقدم نظيره (٢٩) ولذبحو . معروف (٣٠)
بمشمى أي بمشمنى . والياء محذوفة وهو مشى مشيم فالتون والياء فيه للتثنية وهو من
شام أي وضع (٣١) عثر اسم إله (٣٢) وشمش اسم إله (٣٣) وذبحو معروف (٣٤)
بهرن . أي بهران وهو اسم البلد الذي كان يعبد فيه الملقه وقد تقدم (٣٥) حج أي
لان أو بسبب (٣٦) علم . معروف (٣٧) هو . معروف (٣٨) تعلم . معروف (٣٩)
سعدله أي سعداله وتقدم ذكره (٤٠) علم . معروف (٤١) رأ . أي رأى (٤٢) بن . أي
من وتقدم شرحه (٤٣) بردم . أي برد فاليم فيه بدل التثوين ومعناه كما هو في العربي

☆ ☆

وزالت اللغة الحميرية قبل ظهور الاسلام ولم يبق منها إلا شيء يسير في بعض
النواحي . ثم تولدت منها لهجات مصرية والشحر في جنوب الجزيرة والتفت علماء الاسلام
الى أخبار ملوك حمير وآثار مدنها وأشهرهم في هذا الالتفات الحسن بن احمد الهذلي
صاحب كتاب صفة جزيرة العرب . وله كذلك كتاب الاكليل المتضمن عشرة
فصول . وفي الفصل الرابع والخامس والسادس منها تاريخ بني قحطان من أول أمرهم
الى أبي كرب ثم الى ملك ذي نواس والى ظهور الاسلام . ويذكر في فصل أمثال
حمير ولغتهم وحروفهم الهجائية غير ان هذا الكتاب لم يثر عليه برمته احد ولكن توجد
قطعة منه في لندره

☆ ☆

ولنشوان بن سعيد الحميري القصيدة الحميرية المعروفة وهو في الجبل الخامس بعد
الهجرة ونروي هنا منها بعض ايات قال

الامر جد وهو غير مزاح فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح
ثم يقول بعد أبيات

كل البرية شارب كأس الردى من حنف أنف أو دم سفاح
أفأين هود ذو النقي ووصيه قحطان زرع نبوة وصلاح
أم أين يعرب وهو أول معرب في الناس أبدى النطق بالافصح
فهو يذكرك في هذه القصيدة ملوك حمير ولذلك تسمى الحميرية وهي طويلة

وأول من وضع كتاباً في أخبار حمير هو عبيد بن شربة في أيام معاوية بن أبي
سفيان سماه كتاب الملوك وأخبار الماضين . ذكره المسعودي في مروج الذهب . ثم
فقد ولم يعثر له على أثر

وأسماء الأيام عند الحمير بين جاءت منظومة في بيتين وهما
أوئل أن أعيس وإن يومي بأول أو بأهون أو جبار
أوالتالي دُبار فانت يفتي فمؤنس أو عروبة أو شيار
أول . يوم الأحد — وأهون . يوم الاثنين — وجبار . يوم الثلاثاء — ودُبار .
يوم الأربعاء — ومؤنس . يوم الخميس — وعروبة . يوم الجمعة

اللغة الحبشية فرع لغة العرب الجنوبية فان بعضهم عبر البحر الى افريقيا
فاستوطنوها . وقيل ان أصل كلمة الحبش من حبش أي جمع وخطط كأنهم مركبون
من شعوب كثيرة وليس بصحيح . وأصل تسميتهم هذه إنما هو من إحدى قبائل
حضر موت تسمى حبشة

وقد سبق القول ان الاحرف الحبشية مشتقة من الاحرف الحميرية فهي ليست
من نوع الكتابة الهيروغليفية كما زعم صاحب دائرة المعارف

وأما الحركات في الكتابة الحبشية فهي بتغير يسير يلحق كل حرف . ولغة الحبش تقارب اللغة العربية فتاء الفاعل التي تلحق الفعل في العربية يكون بدلها في الحبشية كاف مثال ذلك قتل يكون في العربي قتلْتُ قتلْتِ قتلْتِ قتلْتِ الخ وفي الحبشي قتلْك الخ

على انا نروي أياتاً في حصار مكة على عهد الحجاج وعبد الملك بن مروان فيها الكاف بدل التاء قال الشاعر « يا ابن الزبير طالما عصيكا »
واسم الفاعل في الحبشية على وزن فعالٍ فقاتل مثلاً يكون قتالي ومنه نجاشي مأخوذ من نجش أي ملك

❖ ٣٩ ❖

(جزئيات المحاضرة)

الكتابات الحبشية القديمة وتنصر من وضها من ملوكهم ، اللغات الحديثة المتولدة من الحبشية ، الالفاظ المعربة وكيفيتها



جمع الاسماء في اللغة الحبشية اما سالم أو مكسر وآلة التعريف معدومة منها مثل لغة سبأ وحير. وضائر المتكلم والمحاطب والمحاطبة تطابق ضائر العربية. وضير الغائب في الحبشية واتُ

وتزعم الحبش أن منيلك بن سليمان أول ملوكهم وليس بصحيح اذ الحبش وملوكهم كانوا يعبدون الاصنام مثل محرم وبحير ومدر واستر

ثم تنصر من تنصر من ملوكهم وقد ذكرنا الكتابات الموجودة في قصبة مملكتهم أي اكسوم ونورد الآن بعض سطور من هذه الكتابات تدل على عبادتهم الاصنام قبل أن تنصرهم واذا كان ايراد هذه السطور إنما هو للدلالة على تنصرهم بعد عبادتهم الاصنام لم يكن هناك حاجة الى ذكرها بالحبشية فنكتفي بذكر ترجمتها العربية وهي

« نصبت منبراً هنا لمحرم ولبحير والمدر » ثم في كتابة أخرى « نصبت منبراً لرب السماء الذي أعاتني ووهبني المملكة وأسجد له بصدق وانصاف وأنا لا أظلم الرعية » فمن هذا يعلم أنه ملك نصراني لا وثي لأنه في الاول يسجد لصنم ثم في هذا يسجد لرب السماء وهو الله وهذه الكتابات موجودة الآن في اكسوم

وفي أوائل القرن السادس بعد الميلاد كان أمر ذي نواس صاحب الاخدود واستيلاء الحبش على اليمن . وكان اسم ملكهم وقتئذ كاليب وقيل أنه بعد انتصاره على ذي نواس اعتزل الناس وأقام على جبل وترهب وكان نائبه على اليمن أرباط الذي يصحف الناس اسمه فيجعلونه بالباء الموحدة بدل الياء فيقولون أرباط

وبعد برهة من الزمان انقسمت المملكة فصار الامر فوضى الى سنة ١٢٧٠ ب م اذ ملك عليهم الحبش رجلاً يزعم أنه من نسل منليك بن سليمان اسمه يكنو أملاك وفي أثناء ذلك كان زوال اللغة القديمة ويقال لها جفر وتولدت لغات حديثة أخرى هي المأنوسة الآن في بلاد الحبش إلا ما يختص بالدين والصلوات وكتب الحبش منقولة اما من اليوناني واما من العربي

فالمنقول من اليوناني كالانجيل والتوراة قديم . والمنقول من العربي حديث اى من القرن الثالث عشر بعد الميلاد . والكتب العربية المستخرجة الى الحبشية هي كتب القبط لا غيرها.

وأخبار الحبش عند علماء العرب قليلة ومدارها في الاغلب تراجم الصحابة الذين هاجروا الى الحبشة لأخبار مملكة الحبشة نفسها وتاريخ ملوكهم

ومن هذا القليل كتات جلال الدين السيوطي المسمى أزهار العروش في أخبار الحبوش . وكتاب آخر اسمه رفع شأن الحبشان . وكتاب الطراز المنقوش بمحاسن الحبوش لمحمد عبد الباقي . وكتاب نقي الدين المقرئ المسمى الامام بأخبار من بالحبشة من ملوك الاسلام وهذا الكتاب صغير الجرم كبير الفائدة وفيه أخبار كثيرة تتعلق بالحبشة لا بالصحابة وله يعترف بالفضل جميع علماء اوروبا

هذا ما كان من أمر الحبش . ثم تقول الكلمات الدخيلة في العربية كثيرة قال صاحب ^(١) كتاب الاشتقاق والتعريب المطبوع حديثاً في القاهرة تحت عنوان « طائفة من المعربات » كانت الأمة العربية لأول عهدها منحة في التجارة والزراعة والصناعة متأخرة في فنون العلم وضروب العرفان ، وكادت تكون تكاليف حياتها ومطالب معيشتها منحصرة في شؤون معينة ، وأطوار خاصة ، أشهرها الحروب وادواتها ، والفيافي وحيواناتها ، والانعام وشيائها ، والنساء وصفاتها فيما يقرب من ذلك ويطوف حواليه ، وإذا أرادوا الزائد عليه من شأن علمي أو زراعي أو صناعي أو كان من ادوات الترف والزينة ولم يجدوا له اسماً في لغتهم ولم يعرفوه فيما كانوا عليه من نوع مدنيهم تناولوا اسمه من لغات الأمم المطيعة بهم العريقة في المدنية اهـ وبعض هذه الكلمات يظهر كونها دخيلة بأدنى تأمل بخلاف بعضها اى المنقولة من اللغة الآرامية الشبيهة جداً بالعربية . وهذه الكلمات باعتبار الاصل دخيلة وباعتبار اوزانها عربية خالصة . ووضع أيضاً العرب أفعالا من هذه الكلمات المعربة ومثال ذلك لفظ بلاط وهو من اللاتيني ووضعوا له فعلا بلاط يبلط اى عمل البلاط فالفعل مشتق من الاسم وليس بالعكس وأنا أضرب عن ذكر الدخيل المعروف كالمرزبان والانجيل والقنصل وأمثال ذلك فانه معروف ولا طائل تحت ذكره . وإنما اذكر ما أظن أنه دخيل لادلة يأتي تفصيلها ان شاء الله ومن هذا القليل ما يتعلق بآلات الحرب

كانت العرب من الشجاعة والبأس على أرفع درجة غير أن آلاتهم الحربية لم تكن إلا القسي والحراب . وبالحرية سميت الحرب حرباً . وأما الاسلحة أي آلات الحرب ففي سائر اللغات السامية الشلح هو الرمي وقد عرفنا أن كل شين في العبري تصير سيناً في العربي فعلى هذا الشلح هو السلاح ومنه السلاح

(١) هو الكاتب البليغ عبد القادر افندي المنري أحد محرري جريدة المؤيد الاغر . اثبت في كتابه هذا ان التعريب طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات وان استعمال العرب لا يحط من قدر فصاحة الكلام وسرد على ذلك ادلة وبراهين مما أقضه عليه علمه الواسع واغلاعه الجم . والكاتب في ١٤٦ صفحة من القطع الصغير

ثم تعلمت العرب صناعة الحرب من الفرس والروم وكان ذلك سبباً لدخول
الفاظ رومية وقارسية كثيرة في لغتهم . ومن تلك الالفاظ القصر . لا أصل له البتة
في العربية إذ معنى قصر بعيد ويقال في اللاتيني كسترو وصار في الارمى الشرقي
قسترا وعند الارمى الغربي قسرا فصار في العربي قصرًا . ومنها برج وأصله في اللاتيني
برجس وهذه الكلمة شائعة في جميع اللغات بهذا المعنى فمن ذلك بطرس برج قصبة
الروس معناه برج بطرس وهو الملك الكبير الذي بناه . ومنها الفسقاط ويقال له
كذلك الفساط جاء في بيت لعدى بن زيد

آنسات الحديث في غير فحش رافعات جوانب الفساط
وهذه الكلمة لاتينية الاصل ثم انتقلت منهم الى اليونان وأصل معناها الخندق
حول الخيمة وسمي الفسقاط فسقاطاً لذلك
ومعروف أن السور معرب وكذلك القونس كان يلبسه العسكر ومثله الماذى



(جزئيات المحاضرة)

سياق الكلام في دخيل العربية ، الزيت والزيتون وما يتعلق بالمصاييح ، النصرانية
في الحيرة وعند بني غسان ، الالفاظ الدينية المنقولة من الارمى



ومن الدخيل عندى الزيتون وعصارته الزيت . والفعل ذات يزيث أى وضع
الزيت مشتق من الاسم لا بالعكس فهو مثل بلط يلط الذى تقدم ذكره . ولا شك في
أن الكلمتين قديمتان وزيتون على وزن غير قياسي في العربية إذ وزنها فعلون لا فعلول
وبناء على ذلك لم يذكره سيويه في كتابه . وذكره الزبيدي الاندلسي في كتابه
الاستدراك على ابيه سيويه ولم يجد في العربية بأسرها كلمة على هذا الوزن إلا
الزيتون . والزيتون معدوم قديماً من جزيرة العرب إذ الزيتون لا ينبت إلا في البلاد

المعتلة التي ليست في افراط من الحر ولا من البرد . ويؤيد ذلك عندي الآية « وشجرة تخرج من طور سيناء الخ » والشجرة عند المفسرين الزيتون قال الطبري في تفسيره يعني بها شجرة الزيتون والدهن الذي هو من ثمره الزيت . وقال البكري الجغرافي المشهور والزيتون انما هو بالشام لا بتهامة

وسمي نوع من الزيت زيتاً ريكائياً وذلك على ما فسرهُ الجوهري في الصحاح لانه يحمل على ظهور الابل من الشام . واذ كان الزيت أجنياً محمولاً من البلاد الشائعة كالشام كانت أسماء المصباح دخيلة في العربي في الاغلب . ومن تلك الاسماء السراج واصله من الفارسي أى چراغ واخذه الارميون فقالوا سراجاً ولما كانت الشين في الارمي والبراني توافق السين في العربي صار سراجاً ومنها قنديل واصله قنديلا ومعناه الاصل المضيء . ومنها كذلك نبراس وهو في الارمي نبراش فقلبت الشين سيناً كما هي القاعدة ولا أصل لنبراس في العربية . والصمغ كذلك معرب بمعنى القناديل

والخلاصة ان القناديل كانت قبل الاسلام نادرة غريبة في بلاد العرب إذ المسامرة (اي الحديث بالليل) كانت بلا مصباح فاذا احتاجوا الى الاضاءة اضرموا ناراً كنار السلم وهي مشهورة وكذلك نار الفداء . فالتور من النار ولما ظهرت القناديل في بلاد العرب تعجب منها شعراؤهم وأكثروا من ذكرها في التشبيهات خصوصاً ما كان من قناديل رهبان النصارى في كنائسهم . حكى أن تميم الدار هو أول من أسرج في المساجد وتميم هذا كان قبلاً نصرانياً يتعبد في دير ولذلك قيل له الداري بالامالة اي الديري نسبة الى الدير لانه كان يسكنه . وممن ذكر القناديل في شعره من شعراء العرب امرؤ القيس قال
نضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب مبتل
وقال كذلك

يضيء الفراش وجهها الضجيعها كمصباح زيت في قناديل عباد
وقال كذلك « كأنها مصابيح رهبان » .

ومنهم عبيد بن الأبرص فإنه ذكر نبراس النبط (جمع نبط) وأكثر شعراء العرب من ذكر الرهبان وكل ما يتعلق بأعياد الملة المسيحية لأن النصرانية كانت شائعة في القرن السادس عند بني غسان وفي مملكة الحيرة . وكان ابتداء النصرانية عند بني غسان في القرن الرابع . وأما ملوك الحيرة فأول من تنصر منهم النعمان بن المنذر أبو قابوس وقيل بل هو المنذر بن ماء السماء (المنذر الثالث) وليس بصحيح فإنه كان يعبد الأصنام ويذبح الذبائح للعزى كسائر عرب الجاهلية

وأبطأ ملوك الحيرة في التنصر لسبب وهو أن الأكسرة الساسانية كانوا أعداء النصارى ولما كانت مملكة الحيرة في طاعة الأكسرة خافوا أن يدينوا للملة تكرها الساسانية . هذا ما كان من أمر الملوك

وأما الشعب فالنصارى منه كثيرون وكان في الحيرة أسقف منذ أوائل القرن الخامس . والكنائس والأديرة كثيرة . منها كنيسة بنتها هند بنت الحارث وكتبت اسمها في كتابة فوق الكنيسة وقالت فيها والاله الذي بنى له هذا البيت يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها وكانت أعياد النصارى مشهورة قال النابغة الذبياني

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

فكان كل ذلك سبباً لدخول الألفاظ الدينية في كلام العرب

وقد سبق القول أن التاء تطابقها في الأرمي التاء فتور في العربي يقال فيه تور في الأرمي والضاد والغين تطابقها العين في الأرمي وهذا من العلامات التي يعرف بها الدخيل ويميزينه وبين العربي الخالص

فمن ذلك تاب يثوب معناه رجع ففي الأرمي تجده تاب ومن ذلك كلمة بيضة أصلها في الأرمي بيعة والإرميون كانوا يسمون الكنيسة بيعة لقبها التي على مثال البيضة ومن ذلك عروبة اسم يوم الجمعة وسمي عروبة لأن عيد اليهود يوم السبت ويتدى بغروب شمس يوم الجمعة ولذلك سمي يوم الجمعة عروبة . وكلمة كنيسة أصلها من لفظ أرمي وهو كنشو أي اجتمع سميت به لأنها مجتمعت القوم كما سمي المسجد جامعاً لذلك . ومن

ذلك أسقف كان أصله اليوناني ايسقفس وعند القبط أداة التعريف ب فظنوا أن الباء للتعريف فحذفوها فصارت اسقف

وقد يدخل عند التعريب اثنان في أصل واحد ولا مناسبة بينهما مثل سبح سبجاً أو سباحة معناه عام . وأما سبح فمن الارمي . لان الكلمات الدينية العربية أخذ كثير منها من الارمي كما تقدم . ومثل ذلك صام ومعناه الاصيلي في العربية الصمت ومعناه الصوم المعروف الآن هو من اللغة الارمية . والسبط تعريب شبط بإبدال الشين سيناً . ولذلك لا يرد هذا اللفظ إلا لقبائل بني اسرائيل . ومن الفارسي كلمة رزق أصلها في الفارسية القديمة (روزك) ومعناه اليومي واذ كان ما يأتي الانسان من الرزق يتجدد بتجدد الايام سمي رزقا لانه يومي وكلمة الخمر هي عندي دخيلة لان الخمر كلن نادراً للغاية في الجزيرة وكلن يحمل اليها من الشام والعراق وكلن غالياً جداً . أقول الخمر ولا أقول العنب فانه كان موجوداً في بلاد العرب

(تمت)

مجلة الجامعة المصرية

نصف شهرية مصورة

لنشر محاضرات الجامعة بعضها بأقلام أساتذتها الاجلاء وبعض آخر بأقلام أصحاب المجلة بعد اعتماد حضرات الاسانذة اياها

وقيمة الاشتراك ٦٠ قرشاً لطلبة الجامعة المنتسبين و ٨٠ قرشاً

لطلبة الجامعة المتطوعين وسائر طلبة المدارس و ١٠٠ لغير الطلبة داخل

القطر و ١٢٠ في الخارج

طلبات الاشتراك ترسل باسم سكرتير المجلة بمكتبها بشارع محمد علي

بعمارة المؤيد رقم ١٠٤ صندوق البريد رقم ٣٣ تليفون ٢٠٥٢

ثمان النسخة الواحدة من مجلة الجامعة المصرية خمسة قروش صاغ وتباع في

القاهرة في المكاتب الآتية

مكتبة المؤيد بشارع محمد علي بجوار دار المؤيد

مكتبة الشعب بميدان العتبة الخضراء بالعمارة الجديدة

مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

مكتبة هندية بالموسكي

مكتبة الهلال بشارع الفجالة

مكتبة الساسي بجوار محافظة مصر

مكتبة عبد الواحد بك الطوبي وأخيه بجوار سيدنا الحسين

مكتبة الرافي بالسكة الجديدة

مكتبة المعارف بشارع الفجالة